تحريز التنزيه وتحرير التشبيه

للإمام العلامة

ناصر الدين ابن المنير الإسكندري

(٦٢٠-٦٨٣هـ)

دراسة وتحقيق

د. عبد العزيز رشيد الأيوب

أستاذ مساعد في كلية التربية الأساسية في دولة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي تفضّل على عباده المخلصين، فأحياهم بالعلم، وجعل لهم نورًا يمشون به في الناس، وأيّدهم بروح منه، فأزال عنهم في الحق كل التباس، وزادهم من خيره فجعلهم حملة العلم النبوي، وقادة الدين المحمدي، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد وقع خلاف كبير بين أهل السّنة من جهة والمجسّمة من جهة أخرى في الألفاظ التي تخبر عن الله تعالى في القرآن الكريم والسّنة النبوية، يوهم ظاهرها تشبيهه جلَّ وعلا بخلقه، فأهل السنة نظروا في هذه الأخبار فوجدوها تحتمل بحسب لغة العرب جملة من المعاني، منها معان مقطوع باستحالتها في حقّه تعالى، لتأديتها إلى وصف الله تعالى بالنقص، فقطعوا بأن تلك المحامل غير مرادة له تعالى، ثم نظروا في باقي الاحتمالات التي يصح وصف الله تعالى بها، فمنهم من توقف عن تعيين محمل من تلك المحامل الصحيحة لأنه لم يقف على قرينة قطعية تعين المراد له تعالى، ومنهم من عيّن بقرائن وإن كانت غير قطعية ولكنها ظنية راجحة وفقًا للغة العرب التي نزل القرآن الكريم بها، فالذين توقفوا في التعيين هم أهل التفويض، والذين عيّنوا المراد لله تعالى هم أهل التأويل، وكلاهما على هدى من الله تعالى ونور؛ لاشتراكهما في القطع بتنزيه الله جل وعلا عن المحامل التي تؤدي إلى التجسيم والتشبيه.

وأما المجسّمة فقد حملوا هذه الألفاظ الموهمة للتشبيه على ظاهرها، فوقعوا في التشبيه، وأصبحت عقيدة المسلمين القائمة على التنزيه التام لله تعالى معرضة للوقوع في التجسيم ولوازمه، ولم يكن يرضيهم ما كان يرضي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من التابعين من الإيمان بهذه الألفاظ والسكوت عن معانيها في حق الباري جلَّ علاه.

فلم يكن هنالك بد من قبل علماء أهل السنة المتأخرين من التوسع في استعمال التأويل لهذه الألفاظ، وتعيين معنى من المعاني الصحيحة المحتملة، بناء على قرائن وأدلة ولو بالظن الراجح، بشرط أن يكون المؤوِل عارفًا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع، ذا رياضة في علم الكلام.

وقد منَّ الله عليَّ برسالة عظيمة موجزة في معالجة هذا الموضوع للمتكلّم الأصولي ابن المنير الإسكندري، صاحب العزمات الصادقة في الذب عن الدين. وهذه الرسالة التي بين أيدينا تنبئ عن مسمَّى الكتاب وموضوعه؛ إذ أنار المؤلف فيها المحجة، وأبان الحجة، وقد وفق توفيقًا عظيمًا في دحض شُبَه المبطلين القائلين في الله تعالى وصفاته بما لا يليق بحماه الأحمى، وتبديد ما أثاره المشبهة والمجسمة حول تلك المسائل من شبهات مصطنعة، فإنهم نسبوا إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما افتروا عليه جل جلاله من الجهة والمكان والحركات، وما إليها من لوازم الجسمية، فأبان ابن المنير من دقائق أقوال علماء أهل السنة ما تنادي بشناعة مقالتهم إلى حقائق من العلم، لا يستغن الحريص على دينه على الاطلاع عليها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

خطة البحث:

قامت خطة البحث على مقدمة، وقسمين، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد صدرتها بتوطئة للموضوع، وعرضت فيها لأقسام البحث ومكوناته.

وأما القسم الأول: فقد خصّصته للدراسة حول المصنف والكتاب، وقسّمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف: اسمه ونسبه، مولده، مكانته العلمية، شيوخه وتلاميذه، وفاته، مكانته وأقوال العلماء فيه، مؤلفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب المحقق.

المبحث الثالث: منهج تحقيق النص المخطوط.

وأما القسم الثاني: فقد خصصته لتحقيق نص المخطوط والتعليق عليه.

وأما الخاتمة : فقد ذكرتُ فيها أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث .

هذا وأسأل الله العلي العظيم أن ينفع بهذا العمل، ويجعله لوجهه خالصًا، إنه تعالى خير مسؤول وأفضل مأمول، وإنه نعم المولى ونعم النصير، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

القسم الأول

القسم الدراسي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

التعريف بالمؤلف[(١)]

١- اسمه ونسبه:

هو أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار بن أبي بكر الجَرَوي[(٢)]، الجُذَامي[(٣)]، المكنى بأبي العباس، الملقب بناصر الدين، المعروف بابن المنَيِّر[(٤)] الإسكندري.

٢- مولده:

ولد في يوم الثالث من ذي القعدة سنة عشرين وستمائة من الهجرة النبوية. ولم أر من ذكر مكان مولده، ويغلب على الظن أنه وُلِدَ في الإسكندرية بمصر، والله أعلم.

٣- مكانته العلمية:

نشأ ابن المنير نشأة علمية متميزة، فقد برع في الفقه ورسخ فيه، وأصبح إمامًا في النحو والأدب والأصول والتفسير، وله اليد الطولى في علم البيان والإنشاء، وله معرفة ودراية بفنون شتى. وكان بعد ذلك علامة الإسكندرية ومدرسها وفاضلها،

---

(١) انظر ترجمته في: العبر في خبر من عبر ٣/ ٣٥٢، والوافي بالوفيات ٨/ ١٢٨، ومرآة الجنان ٤/ ١٩٨، والديباج المذهب ١/ ٢٤٣، وبغية الوعاة ١/ ٣٨٤، وطبقات المفسرين ١/ ٢٥٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٨١، وشجرة النور الزكية ١/ ١٨٨، وطبقات الأصوليين ٢/ ٨٤، والأعلام ١/ ٢١٢.

(٢) ذكر السمعاني أنها نسبة إلى جُرَيّ بن عوف، بطن من جذام. انظر: الأنساب ٣/ ٢٣٧.

(٣) نسبة إلى جُذام، قبيلة من اليمن نزلت الشام. انظر: الأنساب ٣/ ٢٠٩.

(٤) المنير: بضم الميم، وفتح النون، وياء مثنّاة من تحت، مشدّدة مكسورة، كذا ضبطها غيرُ واحد، منهم الحافظ الذهبي في المشتبه في أسماء الرجال ٢/ ٦١٧.

وولي نظر الأحباس[1] والمساجد وديوان النظر، ثم ولي القضاء نيابة عن القاضي ابن التِّنِّيسي في سنة إحدى وخمسين وستمائة من الهجرة النبوية، ثم ولي القضاء استقلالا في سنة اثنين وخمسين، ثم عُزِل عن ذلك.

٤- شيوخه وتلاميذه:

أخذ عن جمع من العلماء الكبار، منهم: الإمام ابن الحاجب المالكي[2]، الذي قرأ عليه الفقه والأصول وتفنّن به. وسمع كذلك من أبيه ومن عبد الوهاب بن رواح الطوسي.

وقد حفظ ابن المنير مختصر ابن الحاجب في الفقه ومختصره في الأصول قبل أن يلتقي به ويأخذ عنه، وما أن التقى به الإمام ابن الحاجب حتى لمح عليه مخايل النجابة والذكاء. فما لبث حتى أجازه بالفتيا. واشتهر أمره فقصده الناس يطلبون العلم من معينه العذب، وقد تخرج به جماعة كثيرة، منهم: ابن راشد القفصي[3]، وغيره.

٥- وفاته:

مات رحمه الله في الإسكندرية بمصر في مستهل ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وستمائة من الهجرة النبوية، وعمره ثلاث وستون سنة، ودفُن بتربة والده عند الجامع الغربي.

---

(١) نوع من الأملاك الموقوفة.

(٢) الإمام ابن الحاجب: هو جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر ، الفقيه المالكي الأصولي النحوي،صاحب التصانيف المنقحة، ولد بمصر عام ٥٧٠هـ، وتوفي بها عام ٦٤٦هـ. انظر: الوافي بالوفيات ٦/ ٣٤٠.

(٣) ابن راشد القفصي: هو محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي أبو عبد الله، الفقيه المالكي والأصولي الأديب، ولد بتونس وتوفي بها عام ٧٣٦هـ. انظر ترجمة ابن راشد في معجم المؤلفين–عمر بن رضا كحالة، مكتبة المتنبي – بيروت، مجلد ١٠ ص٢١٤، الديباج المذهب لابن فرحون، مجلد ٢، ص ٣٢٨.

٦- مكانته وأقوال العلماء فيه:

كان ابن المنير فخر مصر عامة والإسكندرية خاصة. فقد كان عالم الثغر وإمامه وقاضيه ومفتيه ومدرّسه وخطيبه المصقع وناظر أوقافه ومساجده.

اتصف بصفات كريمة، فهو كامل المآثر، شامل المفاخر، صاحب فنون البراعة الفائقة، وعيون البداعة الرائقة، فالأعصار مستندة ببلاغاته، والأمصار مستمدة من لغاته، حائز قصب السبق، علامة الغرب والشرق[١].

وقال العز بن عبد السلام: «إن مصر تفتخر برجلين في طرفيها: ابن المنير بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقوص».

وفيه يقول ابن الحاجب من أبيات:

لقد سئمتُ حياتي اليوم لولا

مباحثُ ساكن الإسكندرية

وقال المراغي فيه: «الفقيه المالكي، الأصولي المتكلم النظار، المفسر الأديب الشاعر، الخطيب الكاتب القارئ، المحدث الراوية» [٢].

وجاء في فوات الوفيات: «كان عالماً فاضلا مفننًا، وكان في علومه له اليد الطولى في الأدب وفنونه، وله مصنفات مفيدة، وتفسير نفيس"[٣].

وقيل في حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: "أحد الأئمة المتبحرين في العلوم، من التفسير والفقه والأصلين[٤] والنظر والعربية والبلاغة والأنساب» [٥].

(١) هذا بعض ما سطّره ناسخ هذا الكتاب في غلاف النسخة (أ).
(٢) انظر : طبقات الأصوليين ٢/ ٨٤.
(٣) انظر : فوات الوفيات ١/ ١٤٩.
(٤) الأصلان هما: أصول الدين وأصول الفقه.
(٥) انظر : حسن المحاضرة ١/ ٣١٦.

٧- مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة ومفيدة، منها:

١- تفسير للقرآن الكريم سمّـاه: (البحر الكبير في نخب التفسير).

٢- الانتصاف من صاحب الكشاف. الذي ردَّ فيه على كشاف أبي القاسم الزمخشري، وجرَّده من الاعتزال الذي فيه، وقد ألّفه في عنفوان شبابه، وقرّظه له عزُّ الدين بن عبد السلام.

٣- المقتفى في فضائل المصطفى.

٤- اختصار تهذيب البغوي. وهو من أحسن مختصراته.

٥- تفسير حديث الإسراء، وهو كتـابٌ نفيسٌ فيه فوائد جليلة واستنباطات حسنة.

٦- المتواري على أبواب البخاري.

٧- تحريز التنزيه وتحرير التشبيه. والناظر في كتبه - كما قال مترجموه - يلمح فيها روح الأصولي البارع، والاتجاه الكلامي الفارع، والأسلوب الجدلي البديع، وكل ذلك يدل على أنه كان متمكنًا من علمي الأصول والكلام.

المبحث الثاني

التعريف بالكتاب المحقق

اسم الكتاب كاملا هو: «**تحريز التنزيه وتحرير التشبيه**». وقد أُثبت على الورقة الأولى من النسخة (أ) نسبته لابن المنير رحمه الله تعالى.

وأما ما أثبت على ظهر النسخة (ب) في الأعلى: «**كتاب تفسير مشكلات أحاديث يشكل ظاهرها**»، فلعله تصرّف من الناسخ نفسه.

وأما نسبته إلى الإمام ابن المنير فيمكن إثباته من خلال الأمور التالية:

١- التصريح بذكر اسم ابن المنيّر على جميع نسخ الكتاب الثلاث التي بين يدي.

٢- نقول بعض العلماء من هذا الكتاب، ونسبته لابن المنير، منهم: جلال الدين السيوطي في كتابه مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه[١] ، وقد نقله عن السيوطيِّ صفي الرحمن المباركفوري في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي[٢].

ومن ذلك ما قاله السيوطي: «قوله: (كان في عماء) قال القاضي ناصر الدين ابن المنير: وجه الإشكال في الحديث الظرفية والفوقية والتحتية. قال: والجواب: أن (في) بمعنى (على) بمعنى الاستيلاء ... كأنه قال: كان ولم يكن معه شيء، بل كل شيء كان عدمًا عمى، لا موجودًا ولا مدركًا. والهواء: الفراغ، والفراغ أيضًا: العدم. كأنه قال: كان ولا شيء معه، ولا فوق، ولا تحت» [٣].

٣- عدم ورود ما يخالف ما أثبتناه هنا.

---

(١) انظر: مصباح الزجاجة ص ١٣٣.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي ٨/ ٤٢١.

(٣) انظر: مصباح الزجاجة ص ١٣٣. ويلاحظ أن هذا مذكور بحروفه في هذا الكتاب.

المبحث الثالث

وصف النسخ الخطية ومنهج تحقيق النص

اعتمدتُ في إخراج هذا الكتاب المبارك على ثلاث نسخ خطية:

الأولى: نسخة مصورة عن المكتبة العثمانية بحلب.

وهي نسخة كاملة ضمن مجموع، ورقمها (٥٧٧)، كتبها أحمد بن علي بن محمد الحميدي. وتقع في (١٠) ورقات ضمن مجموع، تبدأ من لوحة رقم (١٨١) إلى (١٩٠)، متوسط عدد أسطرها (٢٣) سطرًا، ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٢) كلمة، خطها نسخي. وتم نسخها يوم الإثنين (١٨) من شهر شعبان سنة (٦٨٣هـ). أي بعد وفاة ابن المنير بأربعة أشهر فقط. لذا فهي أقدم النسخ الثلاث التي بين أيدينا وأنفسها.

وقد رمزتُ لها بحرف (أ).

الثانية: نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية بالقاهرة.

وهي نسخة كاملة، ليس بها سقط أو تلف. تقع في (٨) ورقات، متوسط عدد أسطرها (٢٨) سطرًا، ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٣) كلمة. وقد نُسِخَت بخطٍّ مغربي، مقروء مفهوم بتؤدة وروية تامتين. ولم يدوّن في هذه النسخة اسم الناسخ، ولا مكان وتاريخ كتابتها، لكن يبدو من الخط والطريقة التي كتبت بها أنها كتبت في وقت قريب من عصر المؤلف، وهي من حيث القِدَم تأتي بعد النسخة الأولى.

وقد رمزتُ لها بحرف (ب).

الثالثة: نسخة محفوظة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

وهي نسخة كاملة مزخرفة، كُتِبَت في سنة (١٢٦١هـ) ابتغاء إهدائها للقاضي أحمد عارف حكمت[1] ، ورقمها في مكتبته: (٢٩٠/ ١٦٠) عقائد، وعدد أوراقها: (٢٠) ورقة، متوسط عدد أسطرها (١٧) سطرًا ، ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد (٨) كلمات. وقد كُتِبت بخط نسخي جميل. ويظهر - بعد المقارنة بينها وبين النسخة الأولى - أنها طبق الأصل منها. ولم يدوّن في هذه النسخة اسم الناسخ، ولا مكان نسخها.

وقد رمزتُ لها بحرف (ج).

أما منهجي في تحقيق النص فيبرز في النقاط التالية:

١- اخترتُ في تحقيق هذا الكتاب طريقة النص المختار، فقمت باختيار الألفاظ المناسبة من بين النسخ الثلاث التي بين يدي، كما أني أشرتُ إلى خلاف النسخ في الهامش - باستثناء الألفاظ التي لا تؤثر على المعنى -، وبيَّنت المحرف منها، وما سقط من الكلمات أو العبارات.

٢- التزمتُ بقواعد الإملاء الحديثة، مع صرف النظر عما في النسخ الخطية.

٣- اهتممتُ بوضع علامات الترقيم، وتقسيم الفقرات، وتشكيل ما يُشكل من الكلمات.

٤- وضعتُ عناوين مناسبة لمواضيع الكتاب بين معقوفتين، حتى يتسنى للقارئ سهولة الاطلاع والقراءة.

---

(١) وقد أنشأ أحمد عارف حكمت له مكتبة جمع فيها من خزائن الشرق وأحفلها بالنوادر، ووضع مكانها قرب المسجد النبوي.

٥- علّقتُ على بعض المواضع من الكتاب: معرّفًا لكلمة غريبة أو مصطلح غامض، أو مترجمًا لشخصية تحتاج للتعريف، أو موضحًا ما انبهم من كلام ابن المنير رحمه الله تعالى.

٦- قمتُ بتخريج النصوص التي يضمها الكتاب: فعزوت الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها. أما بالنسبة للأحاديث والآثار فقد قمت بتخريجها من كتب السنة المعتمدة، والتزمت أنه إذا كان الحديث في البخاري ومسلم فإني أكتفي بهما.

القسم الثاني

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله

قال سيدُ السادة، شيخُ المشايخ، أقضى القضاة، حاكمُ الحكام، الفقيهُ الإمام، حجةُ الإسلام، سراجُ الأدباء، تاجُ الخطباء، ملكُ الحفّاظ، فارسُ المعاني والألفاظ، عروةُ المتمسك، قدوةُ المتنسك، ممهدُ القواعد، مؤيدُ العقائد، نصرةُ أهل الدين، قرةُ عين الموحدين، قطبُ المجتهدين، وحيدُ العصر، فريدُ الدهر، عَلَمُ الأئمة، مفتي الأمة: ناصر الدين أبو العباس أحمد [ابن] [1] الشيخ الأجل، الصدر الرئيس، المحدث الأمين: وجيه الدين أبي المعالي محمد الإسكندري المالكي، الذي نقبت في البلاد مناقبه، وشرّقت وغرّبت غرائبه، وفّقه الله وأعانه:

[مقدمة المصنف] [2]

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علمه البيان، وصلواته على سيدنا محمد المبعوث بالفرقان، فارقًا بين البرهان والبهتان، مؤيدًا بالنقية البيضاء التي ليس دونها عنان، إنما هي أخبار كيعانٍ [3]، وآثار كأعيانٍ، واستعارات حسان، يعرفها العارفون باللسان، الراسخون في علوم البيان، كما عطفهم على اسمه الرحمن في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [4]، وإقرارهم بالإيمان لا ينافي علمهم بالبيان، ولم يختلف في عطفهم على اسمه اثنان في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [5].

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) من هنا تبدأ النسخة الأزهرية (ب).

(٣) كتبت في (أ) و (ج): كعِيان. والغالب أن هذا هو الصواب في الكلمة كما يقتضيه سياق الكلام.

(٤) سورة آل عمران: ٧.

(٥) سورة آل عمران: ١٨ .

والآيتان في آل عمران، وكلتاهما راجعة إلى نسبة التوحيد، فهما أختان، والتأويل مندرج في التوحيد اندراج المقدمة في البرهان، غير أن في السلف من أمرّها على ما وردت، وأَمَر بالكف عن التأويل، حذرًا على القلب من الزيغ، وعلى اللسان من الطغيان. وإنما حذَّر غير الراسخين في العلم من الخوض بلا بصيرةٍ ولا إتقان، وأما العالم فهبه لم يتكلَّم باللسان، أليس فِكرُه من حيث الجنان، جائلا في هذا الميدان، خائضًا في هذا البحر ضرورة أنه لا بد أن يتقابل الخاطران.

بَيْدَ أن المعطلة [1] اتخذوا كلام بعض السلف ذريعة إلى البطالة والحرمان. والمشبهة[2] اتخذوه ذريعة إلى النزغة التي (٣/ ج) استبقاها الشيطان من عبادة الأجرام والأجسام والأوثان. وأما المنزهة[3] فعلى المحجة البيضاء،لم يثنوا العنان. المعطّلة أسرفوا، والمشبّهة افتروا، وكان بين ذلك قوامًا، وهم المنزهة الذين أنفقوا من محصول العقول بقدر وحسبان.

فعليك بالتنزيه؛ فإن الصراط منصوب على ظهراني جهنم، فمن تطرَّف اختطفَهُ حَسَكُ السَّعْدان[4]، فما حصّل التجسيمَ إلا: جمود في الأذهان، خمود على الهذيان، جحود للبرهان، صدود عن العرفان، تحكيم الأوهام على الأفهام، والخيال على العقل المسيطر على الأديان.

---

(١) المعطلة: هم الذين ينكرون صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه في كتابه وعلى لسان نبيّه عليه السلام. وأول من أظهر التعطيل هو الجعد بن درهم (... – ١١٨هـ)، وعلى رأس الفرق المعطلة الجهمية والمعتزلة.

(٢) المشبهة: هم الذين شبهوا ذات الباري بذات غيره، أو شبهوا صفاته بصفات غيره. وأول من نشر التشبيه هو هشام بن الحكم الكوفي الشيعي (... – ٢٣٠هـ)، وعلى رأس الفرق المشبهة السبئية والكرامية.

(٣) المنزهة: الذين ينزهون الله تعالى عن مشابهة خلقه، ويثبتون له تعالى ما أثبت لنفسه من الصفات والأسماء.

(٤) لحديث أخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب الزهد، باب ذكر البعث، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: " يوضع الصراط بين ظهراني جهنم على حَسَكٍ كحَسَكِ السَّعْدان، ثم يستجيز الناسُ، فناجٍ مُسلَّم، ومخدوجٌ به، ثم ناجٍ ومُحتبسٌ به، ومنكوسٌ فيها ". والحسك: هو الشوك. والسعدان: هو نبت ذو شوك.

ثم لا بد للمشبّه أن يعزل الخيال في مقام الأفعال، فيقول كقولنا: إن الحق جلَّ جلاله يفعل بلا آلة ولا علة، ولا علاج ولا اختلاج، ولا مساس ولا إحساس، ولا حركة ولا سكون، بل منه التحريك والإسكان.

ثم يعزل الخيال أيضًا في مقام الصفات، فيقول كقولنا: إن الحق سبحانه يبصر ما فوق النجوم، وما تحت التخوم، وما وراء العرش، وما تحت الفرش، والقرب والبعد في بصره سِيّان. يعلم السر وأخفى، والجهر وأوفى، لا يتفاضلان، يسمع هينمة[1] الذرِّ في الدوِّ[2]، وغمغمة الرعد في الجو، لا يتفاوتان.

وإذا عزل الخيال في مقام الأفعال والصفات، فمقام الذات أجدر بعزل الخيال وفطم الأوهام، والتنزيه عن الأجزاء والأعضاء والأركان، وإذا استحال في الأزل الزمان استحال في الأزل المكان، واستحال أن ينقلب ما هو في حيّز الاستحالة إلى حيّز الإمكان.

ولو كان الواحد الصمد جسمًا لكان مركبًا، وأقل الأجزاء جزءان، [فإن لم تكن له صفات كمال لزم النقصان، وإن كانت وقامت بكل جزء][3]، فالجزءان - تعالى [الله][4]- إلهان، فإن قامت على اتحادهما بهما معًا، لزم أن يكون للمعنى الواحد محلان، وإن قامت بأحدهما دون الآخر فالحكم بالإلهية للآخر لقلقلة اللسان، وإن لم تقم بهما وقامت بغيرهما وأوجبت الحكم لهما فهذا بهتانٌ. وإن لم تقم المعاني بشيء وقامت بأنفسها لا بموصوفها، فهذا لا بالعقل ولا بالخيال، ما يتعقّله ولا يتخيّله الإنسان.

فارجع إلى التنزيه، وانفِ[5] التجزئة والتمييز والجهة والتحيُّز والزمان والمكان والألوان والأكوان، فالمعبود واحد أحد، فرد صمد، ليس كمثله شيء، ولا هو مثل شيء، وكيف يماثله شيء، أو يماثل شيئًا، والمتماثلان أخوان، والأخوان صنوان،

---

(١) أي كلام خفي، انظر التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري، دار طلاس- دمشق، ط٢، ١٩٩٦م، ص ١١١، وانظر تاج العروس للزبيدي ٣٥/ ٢٩.

(٢) الدو: الصحراء التي لا نبات بها. انظر: النهاية في غريب الأثر ٢/ ٣٥٢.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ) و (ج).

(٤) هذه الكلمة ليست في (أ) ولا (ج).

(٥) كتبت في (أ) و (ج): ونفي.

والصنوان فرعان، والفرعان محدثان متوالدان، والحق سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، كما تضمنته سورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢) ﴾، المشتملة على ثلث القرآن[1].

ولو أنه لا يعقل الشيء إلا بشبيهٍ لزم أن لا يوجد كل منها حتى يوجد الآخر، (٤/ ج) فإذًا لا يوجدان. ثم كل ذي شبهٍ مركبٌ تركيبًا تامًّا، وكل مركبٍ مفتقرٌ فقرًا مّا، والحق جلَّ جلاله غني عنا نعما[2]، منّا الحاجة ومنه النعمة، منّا الضراعة ومنه الرحمة، منّا الرغبة ومنه المنة والإحسان، هو الباقي وكل من عليها فانٍ، هو الدائم وما عداه مقيد بالزمان، هو القديم وما سواه (١٨٢/ أ) موسوم بالحدثان، هو الصانع وكل شيء دليل عليه وعنوان.

أما بعد:

فإني عزمتُ على أن أقول: (أما بعد) استفتاحًا لتصنيفٍ في التنزيه، وتأويل ظواهر التشبيه، يكون نتيجةً لهذه المقدمة، وثمرة لهذه الخطبة المنظمة، فتأملتُ ما في الكتب الأربعة المصنفة في هذا الشأن، ومصنِّفوها: ابن خزيمة[3] والصبغيُّ[4] وابن فُوْرَكٍ[5]

(١) يشير إلى حديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة]قل هو الله أحد[عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: حقًّا.

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (٣١١هـ)، إمام نيسابور في عصره، كان فقيهًا مجتهدًا، عالمًا بالحديث. رحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر. من مصنفاته: كتاب التوحيد. انظر: الأعلام ٦/ ٢٩.

(٤) هو أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري، المعروف بالصبغي (٣٤٢هـ)، فقيه شافعي، له عدة مصنفات، منها: كتاب الأسماء والصفات، والإيمان بالقدر، وفضائل الخلفاء الأربعة. انظر: الأعلام ١/ ٩٥.

(٥) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني الشافعي (٤٠٦هـ)، عالم بالأصول والكلام، سمع بالبصرة وبغداد، له مؤلفات كثيرة، منها: مشكل الحديث وبيانه، والحدود في الأصول. انظر: الأعلام ٦/ ٨٣.

والرازيُّ[1]، وهي مجلّدات ضخمة، ومصنّفات فخمة.

فرأيتُ أن هذه المقدمة قد تضمّنت مجردها النتيجة، ووقفت بها الواقف عليها على المحجة دون كل وليجة، وأقامت على سالكي بُنيات الطرق حجة، من خالفها كان الله حجيجَه، ومن عرّج عن الطريق وقد استبان لم يُحمد تعريجه.

وهذه المقدمة من أنصفها وصفها بالوفاء وبالشفاء، وبالاكتفاء وبالتبريز[2] على الأكفاء. والله المشكور إذ وفّق إلى الانتصار بطريق الاختصار، وإلى التحقيق بأقرب طريق، ولم يبق مما في الكتب المشار إليها إلا تجديد وتأكيد، وتكرير وتكثير، ولعل الإملال بالتطويل تربي عائلته على فائدة التقدير والتمثيل.

ولا بأس أن نتبع هذا التأصيل بحظٍّ من التفصيل، **فنقول:**

﴿ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[3]: استولى.

«**فوق سبع سموات**»[4] يعني: فوقية القهرية.

«**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا**»[5]: بترك المؤاخذة بالعدل إلى المسامحة والفضل.

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري (٦٠٦هـ)، الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول، من تصانيفه: مفاتيح الغيب، ولوامع البينات في شرح أسماء الله والصفات. انظر: الأعلام ٦/ ٣١٣.

(٢) في (ب): وبالتنوير.

(٣) سورة الأعراف: ٥٤.

(٤) هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا شَخْصَ أَغْيَرُ من الله» ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اتَّقِ اللهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ «. قال أنس: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتِمًا شيئًا لَكَتَمَ هذه. قال: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ على أَزْوَاجِ النبي ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي الله تَعَالَى من فَوْقِ سَبْعِ سَمَوات.

(٥) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التهجد بالليل، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، ولفظه: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقول: مَن يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ له، مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ له". وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل.

«**يمشي هرولة**»[1]: يرحم أولياءَه رحمة ناجزة سريعة.

﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾[2] أي: بظُلَل، ويأتي يفعل فعلا يُسمّيه إتيانًا، وكذلك الذهاب والمجيء.

«**يضحك**»[3]: يرضى.

«**يحجب دونه سبعين ألف حجاب**»[4]، أي: حجَبَ بها خَلْقَه، ولم يَحْتَجِب هو.

«**يغضب**»[5]: يريد العقوبة.

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾، ولفظه: "يقول الله تَعَالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وأنا معه إذا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي في ملأ ذَكَرْتُهُ في ملأ خَيْرٍ منهم، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شبرًا تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إليه بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) سورة البقرة: ٢١٠. وانظر تأويلات أهل السنة لهذه الآية: أساس التقديس ص ١١٨ وما بعدها.

(٣) وردت هذه اللفظة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب الكافر يقتُلُ المسلِم ثم يُسلِمُ فيُسدِّدُ بعدُ ويُقتَل، ولفظه: «يضحكُ اللهُ إلى رجليْن يَقتُلُ أحدُهما الآخَرَ يدخلانِ الجنةَ، يقاتلُ هذا في سبيل الله فيُقتَل، ثم يتوبُ اللهُ على القاتلِ فيستشهَدُ». وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٦/ ١٤٨، برقم: (٥٨٠٢)، عن سهل بن سعد رضي الله عنه، بلفظ: "إِنَّ اللهَ عزَّ وجل دُونَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ من نُورٍ وَظُلْمَةٍ، وما يَسْمَعُ من نَفْسٍ شيئًا من حِسِّ تِلْكَ الْحُجُبِ إلا زَهَقَتْ". قال ابن شاهين في الفؤائد: اسناده متصل ورجاله ثقات، وضعفه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ١٤٦ ، والذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ١٩١ .

(٥) وردت هذه اللفظة في حديث طويل رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى :] إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [، وفيه: "فيقول – أي آدم –: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًالم يَغْضَبْ قبله مثله ولا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مثله".

«**يرضى**» [(١)]: يريد الرحمة.

«**يفرح**» [(٢)]: يقبل، «**يتبشبش**» [(٣)] كذلك.

«**رأيتُ ربي في أحسن صورة**» [(٤)] أي: وأنا في أحسن صورة، أو الصورة المعنوية، كقولك: صورة الأمر كذا.

---

(١) وردت هذه اللفظة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب: الأمر بالاعتصام بحبل الله وترك التفرّق، ولفظه: "إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جميعًا ولا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وقال، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ".

(٢) وردت هذه اللفظة في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المتفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الدعوات، باب التوبة، ولفظه: «للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ العبد من رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عليها طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً فَاسْتَيْقَظَ وقد ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حتى اشْتَدَّ عليه الحَرُّ وَالْعَطَشُ أو ما شَاءَ الله قال: أَرْجِعُ إلى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فإذا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ». وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب التوبة، باب الحض على التوبة.

(٣) وردت هذه اللفظة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٠٧، برقم: (٨٠٥١)، ولفظه: "ما تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ المَسَاجِدَ لِلصَّلاةِ وَالذِّكْرِ إلا تَبَشْبَشَ الله له كما يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إذا قَدِمَ عليهم"، والحديث صححه السيوطي في الجامع الصغير ٧٨٨٠، والمنذري في الترغيب والترهيب ١ / ١٧٥

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، باب في رؤية الرب تعالى في النوم، عن عبد الرحمن بن عائش رضي الله عنه، بلفظ: «رأيت رَبِّي في أَحْسَنِ صُورَةٍ قال: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأعلى؟ فقلت: أنت أَعْلَمُ يا رَبِّ. قال: فَوَضَعَ كَفَّهُ بين كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بين ثَدْيَيَّ فَعَلِمْتُ ما في السموات وَالْأَرْضِ وَتَلَا:]وَكَذَلِكَ نُرِي إبراهيم مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ [. وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة ص، من حديث معاذ بن جبل، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

«**خَلَقَ اللهُ آدم على صورته**» (١) أي: صورة العبد المضروب، والواقعةُ تُبيِّنُه(٢).

﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ** ﴾ (٣) بالمكانة لا بالمكان.

[**تجلى**] (٤): أظهر آياته.

«**تجَلَّى منه مثل الخنصر**» (٥): أظهر أدنى آياته.

﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ** ﴾ (٦): خلق له الإدراك بشرطِه، فتَدَكْدَكَ عند الرؤية.

[**عِندَ رَبِّهِم**] (٧) أي: تقريبه إياهم مكانةً لا مكانًا، وهكذا [**مِن لَّدُنْهُ**] (٨) ونحوه.

---

(١) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، ولفظه: "خَلَقَ الله آدَمَ على صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فلما خَلَقَهُ قال: اذْهَبْ فَسَلِّمْ على أُولَئِكَ نفر من الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ ما يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. فقال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ الله، فَكُلُّ من يَدْخُلُ الْجَنَّةَ على صُورَةِ آدَمَ فلم يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حتى الآنَ". وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير.

(٢) يشير إلى الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «إذا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْه، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدم عَلَى صُورَتِهِ». أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العتق، باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه.

(٣) سورة النجم: ٨.

(٤) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٥) أخرج الحاكم في المستدرك ٢/ ٤١٠٢، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أنَّ موسى بن عمران لمّا كلَّمه ربّه أحبّ أن ينظر إليه فقال: ربّي أرني أنظر إليك قال: لن تراني، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني. فحفّ حول الجبل الملائكة، وحفّ حول الملائكة بنار، وحفّ حول النار بملائكة، وحفّ حول الملائكة بنار، ثمَّ تجلَّى ربّك للجبل، ثمَّ تجلَّى منه مثل الخنصر، فجعل الجبل دكّا وخرَّ موسى صعقًا ما شاء الله، ثمَّ أنه أفاق فقال: سبحانك تبتُ إليك وأنا أوّل المؤمنين. يعني: أوّل مَن آمن من بني إسرائيل. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٦) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٧) قال تعالى في سورة يونس آية (٢): ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾..

(٨) قال تعالى في سورة الكهف آية (٢): ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾.

الوجه واليدان (٥/ ج) **والعينان**: صفاتٌ سمعية، ضاق بيان وجه الاستعارة فيها، ولم يمكن ردُّها إلى الصفات المعروفة؛ إذلم يمكن نفيُها لأن الشرع أثبتها، ولم يمكن حملُها على ظاهرها، لأن العقل يأباه، ولم يمكن حملُها على الاستعارة في بعض الموارد؛ فتعيَّن ضرورةً أن نثبت صفاتٍ لا جوارح.

بخلاف **الساق**[١] ، فهو محمول على الشدة، وكشْفُهُ: تفريج الشدة.

وبخلاف: «**يَضَعُ قَدَمَهُ في جهنَّم**» [٢] فهو محمولٌ على أنه يضع فيها خَلْقًا من خَلْقِهِ متقدمًا.

«**يُصلِّي عند قَدَم الرَّحمن**» [٣] أي: عند العمل الصالح الذي قدَّمه لله.

«**يَضعُ الجبَّارُ** (٣/ ب) **رِجْلَهُ في النَّار**» [٤] إما الجبار مَلَكٌ من الملائكة، أو الحق يضعُ قطعةً من مخلوقاته، كالقطعة من الجراد انتشارًا.

﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى** ﴾ [٥] أي: التي خلقتُها، فهي ملكي، ومضافة إليَّ إضافة الـمُلكِ إلى المالِك.

---

(١) قال تعالى في سورة القلم آية (٤٢): ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

(٢) الحديث متفق عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، ولفظه: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ، تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ». وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون.

(٣) لم أظفر به. ووجدتُ في مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص ٣٥٣ حديثًا قريبًا منه رُوِيَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: "إذا سَجَدَ أحدكم فإنما يسجد على قَدَم الرَّحمن".

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، بلفظ: "يُلْقَى فِي النَّارِ أَهْلُهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، قَال: وَيُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ، أَوْ قَدَمَهُ فِيهَا، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ". وأخرجه ابن منده في كتاب الرد على الجهمية، عن أنس أيضًا، بلفظ : "يَضَعُ الله رِجْلَهُ فِي النَّارِ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ". وأخرج الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب: وتقول هل من مزيد، من حديث أبي هريرة: "فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطٍ قَطٍ . فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ» ، وفي لفظ لمسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون: «حَتَّى يَضَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ تَقُولُ قَطْ قَطْ قَطْ».

(٥) سورة الحجر: ٢٩.

«**القبضة**» [١]: الاستيلاء والـمُلك.

«**الأصابع**» [٢]: النعم.

«**الأصبعان**» [٣]: النعمتان: الظاهرة والباطنة، أو الأولى والآخرة، أو النافعة والدافعة.

قاعدةٌ: حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أصل في هذا الباب، فنقدّر أمر الله وحكمه وملكه وشأنه ونحو ذلك، مما يسوغ عليه الظرفية إذا وردت الظرفية في الظاهر منسوبةً إلى الذات.

قاعدةٌ أخرى: وتسمية الأثر باسم المؤثر أصلٌ مُطَّرِد، كقولك في المطر: هذه رحمة الله، أي: أثرها. وكذلك: النبات رحمة؛ لأنه من آثارها. وقد ورد مبينًا في قوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾ [٤] أي: مقدوره. [وإذا تعجبتَ من شيءٍ قلتَ: انظر قدرة الله، أي: مقدوره] [٥].

قاعدةٌ أخرى: ربما أُضيفَ الشيءُ إلى الله تعالى، والمراد: إضافتُه إلى بعض خواص خَلقِه؛ لأن الملك يُنسَبُ إليه ما يفعلُه خواصّه، على معنى التشريف لهم والتنويه بقدرهم.

(١) وردت هذه اللفظة في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في القدر، ولفظه: "إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ من قَبْضَةٍ قَبَضَهَا من جَمِيعِ الأرضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ على قَدْرِ الأرض: جَاءَ منهم الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذلك، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ". وأخرجه الترمذي في سننه، في كتاب التفسير، باب من سورة البقرة، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيح.

(٢) وردت هذه اللفظة في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ولفظه: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يَصْرِفُهُ حَيْثُ شَاءَ"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ". أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء.

(٣) انظر الهامش السابق.

(٤) سورة الروم: ٥٠.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ) و (ج).

قاعدةٌ أخرى: اعلم أن الأحاديث التي أوهم ظاهرُها التشبيهَ أكثرُها لا يصلح سنده، ولا يسلم من علة عند النقاد، وقد يبلغ في التعليل إلى أن يكون موضوعًا. وقد تكون العلة لا من قدحٍ في عدالة الراوي، ولكن من عارضٍ عرَضَ له، كما قيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه ظفر يوم اليرموك بِوَسْقَينِ[1] من أقاصيص بني إسرائيل، واليهودُ مجسّمةٌ، فربما يحدِّثُ عنها، فظنَّ السامعُ أنه يحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لم يَقُل، [وحاشاه أن يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يَقُل][2]، وربما كان أصحابُه يقولون له في الأحيان[3]: حدِّثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تحدِّثْنا عن وَسْقَيْكَ يوم اليرموك.

وكذلك محمد بن كعب القرظي، أصله من بني قريظة، وهم يهود، ووقع إليه شيءٌ من كتُبِهم، وكان ربما يحدِّث عنها، (٦/ ج) فظنَّ الظانُّ أنه يحدِّث حديثًا نبويًّا.

وكذلك يحكى عن حماد بن سلمة أنه دخل الأهواز، وكان عنده (١٨٣/ أ) تَغَفُّلٌ، فعمل بعض الزنادقة على صحُفِهِ فدسَّ فيها دسائس من حيث لا يشعر حماد، فحدَّث بها بآخره، يعرف ذلك أهل الشأن ويميّزونه. ويقال: إن الزنديق ابن أبي العرجاء[4]، وكذلك كعب الأحبار[5]، ونوف البكالي[6]، وأمثالهم من القُصّاص أكثر ما توجد هذه الأحاديث المشكلة الظواهر عندهم. وقد أُخِذَ زنديقٌ في زمن المأمون، فقيل له: أتتوب؟ فقال: كيف أتوب وقد وضعتُ كذا كذا ألفَ حديثٍ في التشبيه، وسمعتُ الناسَ يقولون ويتحدثون بها؟!.

---

(١) يعني: حمل بعيرين.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ) و (ج).

(٣) في (أ): في الأخبار.

(٤) قيل عن ابن أبي العرجاء: أنه ثقة عابد، من أثبت الناس في ثابت، ولكن تغيرّ حفظه في آخر عمره. انظر: تقريب التهذيب رقم: (١٤٩٩).

(٥) كعب الأحبار: هو أبو إسحاق كعب بن ماتع الحميري اليمني، ثقة مخضرم، سكن الشام، ومات في آخر خلافة عثمان وقد زاد على المائة. انظر: تقريب التهذيب رقم: (٥٦٤٨).

(٦) هو نوف بن فضالة البكالي الشامي، ابن امرأة كعب الأحبار، له ذكر في الصحيحين، مات بعد التسعين من الهجرة. انظر: تقريب التهذيب رقم (٧٢١٤).

سؤالٌ: فإن قلت: ما الضرورة إلى تأويل هذه الأحاديث المعلَّلة الطرق، وهلا دفعتَ من أول وهلةٍ بذلك، فاستُغْنِي عن تأويلها؟

فالجواب: أن العلماء لا يشتغلون بتأويل الموضوع المحض، بل يدفعونه بدءًا بذلك، وإنما اشتغلوا بتأويل المعلَّل المختلَف فيه، لاحتمال أن يكون صحيحًا، فيتأوَّلونَهُ على هذا التقدير.

سؤالٌ آخر: إن قلت: إذا كانت الأحاديث قد خالطها ما ليس منها، فكيف السَّبيل إلى التمييز؟ فإذا خفي عن حمادٍ وهو الأصل، فكيف يظهر لمن بعده وهم فرعٌ منه؟

فالجواب: أن أهل هذا الشأن وعلماء النقل ونقاد الأسانيد لا يشكُّون في ذلك، ولا يشكُّ فيه إلا مَن لم يشاركهم في الممارسة، وربَّ حامل فقهٍ إلى مَن هو أفقه منه، فليس ينبغي للغُمْر[1] الغِرِّ[2] أن يزاحم بالقول مَنْ لم يزاحمْهُم في العلم، وهو بمثابة الجِلْف الجاهل، يقف على العطار، والعطارُ يميزُ العَفَارَ[3] من العَقّار[4] ، فيداخله في صناعته، ويزاحمه في تمييز بضاعته بالتحريف المحض، والاستبعاد الصرف، فهذا منه إذًا خرقٌ وحُمْقٌ وسوءُ خُلُقٍ.

سؤالٌ آخر: إن قلت: لا ينبغي للمتكلم أن يتعرَّض بالبيان والبرهان إلا للقطعيات، فإن قواعد العقائد لا مجال للظن فيها، فكيف ساغ لهم أن يتكلَّموا في أحاديثَ أصحُّ غايتِهِ أن يكون مظنونًا، ثم يتكلَّمون على التأويلات بالظنون؟.

فالجواب: أن موضع القطع إحالةُ أن يراد الظاهر، هذا ما لا يشكُّ فيه المتكلم، ثم تعيين التأويلات إنما نشأ عن القطع بأمرين:

---

(١) الغُمْر: هو الذي لم يجُرِّب الأمور. انظر: مختار الصحاح، مادة (غمر).
(٢) الغِرُّ: هو الرجل الغير مجرِّب. انظر: مختار الصحاح، مادة (غرر).
(٣) العَفَار: شجر تُقدح منه النار. انظر: مختار الصحاح، مادة (عفر).
(٤) العقار: مفرد العقاقير، وهي أصول الأدوية. انظر مختار الصحاح: مادة (عقر).

أحدهما: أن الظاهر غير مراد.

والآخر: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخاطبنا إلا عناية بالإفادة، وتبليغًا للرسالة، وإبانة لجواز ما يجوز إطلاقه، مما لا يجوز في هذا الباب. فهذا أيضًا مما لا يشكُّ فيه المتكلم.

وهناك أيضًا وجهٌ ثالثٌ من القطع، وهو أنا نقطع بإمكان (٧/ ج) أن يضاف إليه تعالى الاستيلاءُ على العرش، كما نقطع باستحالة أن يضاف إليه جل جلاله الجلوسُ [على العرش أو غيرُه، فإذا كان الاستيلاء لائقًا بالحق][١]، وقد ورد الشرع به لغةً، وتعبدنا باللغة، تعيَّن حملُ اللفظ عليه، ولو وجدنا وجهًا من التأويل هو أقربُ منه رجعنا إليه، أو هو مساوٍ له توقَّفنا في تعيين أحدهما. فهذه جملةٌ[٢] من القطع هي محطُّ نظر المتكلم.

قاعدةٌ في هذا الفن: اعلم أن جملة الظواهر التي أحلنا إرادة ظواهرها، وحملناها على جهاتٍ من الاستعارة، ونقلنا عن أهل اللغة تسويغها، بحيث لو استُعْمِلَت فيمن يجوز عليه الظاهرُ لعُلم بسياق الكلام أن الظاهرَ غيرُ مرادٍ، فإذا استقر الوضع على إحالة أن يكون المرادُ الظاهر لغة فيمن لا يحيل العقلُ عليه ذلك أجدر.

مثاله: أن أحاديث التنزيل حملناها على ترك استيفاء الحق، وعلى الحكم بالفضل دون المؤاخذة بالعدل. ولو استعمل التنزيل في المخلوق فيما هذه سبيله لم يُحمَل على الانتقال من مكانٍ إلى مكان، تقول: ينزل الأمير مع فلانٍ، إذا لايَنَهُ في القول، وسامَحَهُ في الحق، وإن كان الأمير على سريره يتحتمُ[٣] لم ينزل عنه، ولا يَفهَمْ عاقلٌ من قولك: ينزل الأميرُ مع فلانٍ. أنه نزل له عن سريره، ولا بد بحيث يتحتمُ ذلك.

وكذلك لفظة (**الفوق**)، تقول لمن ساوم بسلعته سومًا غاليًا: جاء من فوق، وإن كان جالسًا مكانه، وربما يصعد بسلعته من سُفل إلى علية فيسوم بها سومًا غاليًا،

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ) و (ج).
(٢) في (أ): جهات.
(٣) هذه الكلمة ليست في (أ) ولا (ج).

فتقول: جاء من فوق، وأنتَ تعلم أنه إنما جاء بالحقيقة من سُفل، لكن أردت أنه أعلى سومها. فإذا كنت تؤول في حق المخلوق الذي يمكن عليه حملُ الكلام على الحقيقة، فتتركها، علمًا منك بالعادة أن المتكلم أراد الاستعارة. فكيف لا يُترَكَ الظاهرُ في حق مَن لا يجوز عليه مقتضاه، علمًا منك بالعقل أن المتكلم أراد الاستعارة؟.

قاعدةٌ: من أحسن ما لأبي الحسن الأشعري[1] رحمه الله تعالى في تأويل ما لا يسوغ نسبتُهُ إلى الحق على ظاهره من الأفعال، قوله رحمه الله: «الوجه أن يقال: فَعَلَ الحقُّ فعلا سَمَّاهُ كذا، كقولنا في التجلي والتنزيل: فَعَل (٤/ ب) فعلا سمّاه: تجلّيًا، فَعَلَ فعلا سمّاه: تنزيلا».

وأصلُه عن الأوزاعي، وذلك أنه سُئِلَ عن حديث النزول[2]، فقال: يفعل الله ما يشاء، فأشار إلى أنه فعَلَ فِعلا بلا علاجٍ ولا انتقالٍ، سمّاه بهذا الاسم.

ونُقِل عن عليٍّ كرَّم الله وجهه (١٨٤/ أ) أنه مرَّ برجلٍ وهو يحلفُ بالذي (٨/ ج) احتجبَ بالسّبع[3] الطباق، فعلاه بالدّرة، وقال: ويلكَ! إن اللهَ يَحجُبُ ولا يَحتَجِب، فقال الرجل: أُكَفّرُ عن يميني؟ فقال: لا، إنما حلفتَ بغير الله[4].

ثم يعود بنا كلامنا إلى تفصيل أحاديث في هذا الفن، نتتبعُها بالاختصار.

[خبر اليد]

حديثٌ جاء في القصص، وخرَّجه الترمذي في التفسير: «أن الله تعالى قال: يا محمد، فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا أدري، فوضع يده بين كتفي، حتى

(١) هو الإمام علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري (٣٢٤هـ)، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، مؤسس مذهب أهل السنة والجماعة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد في البصرة، وتوفي ببغداد. له مؤلفات كثيرة في علم الكلام، منها: اللمع والإبانة ومقالات الإسلاميين. انظر: الأعلام ٤/ ٢٦٣.

(٢) سبق تخريج حديث النزول من قبل.

(٣) في (أ): بسبع.

(٤) أخرجه الربيع بن حبيب الأزدي في مسنده، برقم (٨٣٨).

وجدتُ بَرْدَها في صدري، فعلمتُ ما بين المشرق والمغرب، ثم قال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري، فقال: في الكفارات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السَّبَرات، - أي: الغدوات الباردة -، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فمن حافظ عليهنَّ عاش بخيرٍ، ومات بخيرٍ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدَتْه أمُّه»[1].

وجه الإشكال: إطلاق اليد، والوضع بين الكتفين، وإضافة البرد إلى اليد.

إشكالٌ آخر: قوله أولا وآخرًا: «لا أدري» بعد قوله: «فَعَلِمتُ ما بين المشرق والمغرب».

الإشكال الثالث: اختصام الملائكة ما معناه؟

والجواب عن الأول: أن المراد باليد: النعمة، وإضافة البرد إليها من قبيل النعمة الباردة، والغنيمة الباردة، إذا جاءت بلا تكلُّفٍ، بل موهبةٌ. وتخصيصُ ما بين الكتفين؛ لأنه يلي القلبَ الذي هو محلُّ العلوم، وبردُّ الخواطر وسكونها وطمأنينتها[2] إلى العلوم.

والجواب عن الثاني: أن قوله ثانيًا: «لا أدري» إمَّا تأدبًا، أي: لا أعلم من ذاتي شيئًا، يريد إلا ما علَّمتني. وإما أن تكون رؤيتُه ما بين المشرق والمغرب إدراكًا معلومًا بالمحسوسات، وهذا السؤالُ خارجٌ عن ذلك.

وأما الجواب عن الإشكال الثالث: فلم أقف للمتكلمين فيه على نصٍّ، ولكن قال بعضُ المفسرين: إن اختصامهم كان في المنجيات والمهلكات والكفارات. قال

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب تفسير القرآن، باب من سورة ص، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ومن حديث معاذ بن جبل وقال: حسن صحيح.

(٢) في (أ): وطمأنيناتها.

ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[1]، وقال في المنجيات: إن أولها خشيةُ الله ثم كذا، وفي المهلكات: إن أولها الشحُّ المطاع، وفي الكفارات: إن أولها إسباغُ الوضوء في السَّبَرات[2].

قلتُ: ويكون الاختصامُ - والله أعلم - الجدال، وكأن الله تعالى أمرهم أن يعينوا باجتهادهم الأصناف المندرجة تحت هذه الأمهات الثلاث من فروع الأعمال، وما ينبغي أن يعد أولها وأصلها (٩/ج) فتجادلوا في التعيين، ولله أن يفعل ما يشاء، ويعلم ما يشاء بلا اجتهادٍ، ويَكِلَ من يشاء إلى الاجتهاد من مَلَكٍ أو بَشَرٍ، ويوفّق من يشاء من المجتهدين إلى الصواب ويمنع آخرين.

والذي يُفْهَم من حيث الجملة: أن الإخبار عن اختصام الملأ الأعلى تنويهٌ بهذه الأنواع من القُرَبِ والطاعات، وإظهار المنَّة على هذه الأمة، إذ علَّمها - بلا نصبٍ ولا تعبٍ - مراتبَ العبادات ودرجات القربات، وما علَّم ذلك للملائكة، بل وَكَلَهُم فيه إلى الاجتهاد.

[ذكر القبضة وتخمير الطينة]

حديثٌ آخر: جاء: «إن الله تعالى خَلَقَ آدم من قبضةٍ قبضها من جميع الأرض، فجاء فيهم الأسود والأحمر والأبيض والحزن والسهل والخبيث والطيّب»[3]. وفي

---

(١) سورة ص: ٦٩.

(٢) لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: «ثلاثُ كفارات، وثلاثُ درجات، وثلاثُ مُنجيات، وثلاثُ مُهلكات. فأما الكفارات: فإسباغ الوضوء في السَّبرات، وانتظارُ الصلوات بعد الصلوات، ونقلُ الأقدام إلى الجمعات. وأما الدرجاتُ: فإطعامُ الطعام، وإفشاءُ السلام، والصلاةُ بالليل والناس نيام. وأما المنجياتُ: فالعدل في الغضب والرضا، والقصدُ في الفقر والغنى، وخشيةُ الله في السر والعلانية. وأما المهلكاتُ: فشحٌّ مطاعٌ، وهوىً متَّبَعٌ، وإعجابُ المرء بنفسه». أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٦٨، وأخرجه البزار في مسنده ١٣/ ١١٤، برقم: (٦٤٩١)، مسند أنس ابن مالك رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه من قبل.

حديثٍ آخر: «إن الله تعالى خَمَّر طينة آدم أربعين صباحًا، ثم خلطها بيده، فخرج كلُّ طيِّبٍ بيمينه، وكلُّ خبيثٍ بشماله، ثم مسح إحدى يديه بالأخرى»[1].

وجه[2] الإشكال: ذكر القبضة، وظاهرُها القبضُ بالجارحة، وكذلك تخميرُ الطينة، وظاهرُه العلاجُ والمباشرة، وكذا المسحُ لإحدى اليدين بالأخرى يوهمُ الجارحةَ والعلاجَ.

والجواب: أن اليدَ النعمةُ، ولا يُحمَلُ قولُه تعالى:]لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ[[3] على القدرة، بل على النعمة التي خُصَّ بها آدمُ وفضَّله بسببها على سائر المخلوقات، من جماداتٍ وحيوانات وملائكة، وذلك أنه ركَّبَ فيه الصفات العالية، كالعلم والنطق والإدراك والمجاهدة في إعفاف النفس مع الابتلاء بالشهوات، فخَلْقُ آدمَ مصحوبًا بنعمته الظاهرة في تسوية خَلقِه، والباطنةِ في تحسين خُلُقِه.

والقبضةُ: الـمُلكُ والاستيلاءُ، وقبض بيده أي: فَعَلَ فعلا سَمَّاه قبضًا بلا علاجٍ. وكذلك خَمَّر، أي: فَعَلَ فعلا سَمَّاه تخميرًا بلا آلةٍ ولا مماسَّةٍ. ويكون تخميرُ طينتِه أربعين يومًا[4] مضاهيًا لتطوير أولاده أربعين أربعين، في العلقة والمضغة ونحوهما.

ولم يُجِزْ الأستاذُ أبو بكرٍ بن فوركٍ[5] حملَ اليد في خلقِ آدمَ على القدرة؛ لأن المقصودَ إفحامُ إبليس بالحجة، ولو كانت اليد القدرة لكان إبليس أيضًا كذلك مخلوقًا

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ١٥١، والآجري في الشريعة برقم (٤٣١)، من حديث سلمان الفارسي أو عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما موقوفًا، وحكم عليه الحافظ العراقي في المغني ٢/ ١١٢٩ بأنه حديث باطل، وأن إسناده ضعيف جدًّا. وقد أورد الدارقطني في العلل ٥/ ٣٣٨ الخلاف حول وقف هذا الحديث أو رفعه، فقال: وسئل عن حديث أبي عثمان النهدي عن عبد الله بن مسعود قال: «إن الله تعالى خمر طينة آدم»، فقال: يرويه سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان أو ابن مسعود موقوفًا وهو الصحيح، ومن رفعه فقد وهم.
(٢) هذه الكلمة ليست في (أ) ولا (ج).
(٣) سورة ص: ٧٥.
(٤) هذه الكلمة ليست في (أ) ولا (ج).
(٥) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص ١٠٦.

بالقدرة، دلَّ على أن المراد النعمةُ التي خُصَّ بها آدم. وأما المسح فيُحتملُ أن يُراد به لَمَّا خلَقَ بني آدم صنفين: سعيدًا وشقيًّا، ضَرَبَ إحدى الصنْفيْن بالآخر خلطًا، فجعلَ السعيدَ يخرجُ من الشقيِّ، والشقيَّ يخرجُ من السعيد.

ويحتمل أن يأمر الله ملكًا من خواصِّ الملائكة، فيُخمِّرَ طينةَ آدم بيده، ويمسحَ الملكُ (١٠/ ج) إحدى يديه بالأخرى، ويضافُ الفعلُ إلى الله تعالى ؛ لأنه خالقُهُ على يدي الملك، كما تقول: ضَرَبَ الأميرُ اللصَّ، أي: أمَرَ بضربِهِ، وهذا أقعدُ بالجواب[1] ؛ لأن الأمير لا يخلقُ فعل من استنابه، والله تعالى (١٨٥/ أ) خالقُ أفعال عبيده.

[ذكر اليمين والشمال]

حديثٌ آخر: جاء: «إن الله تعالى لما قسم بني آدم بيمينه وشماله، قال لآدم: اختر أيهما شئت؟ فقال: اخترتُ يمين ربي. وكلتا يدَيْه يمين»[2].

وجه الإشكال: ذكر ما يُشعِر بالجارحة، واختيار آدم إحداهما دون الأخرى، وكلتا يدي الحق مختارة؛ لأنا نفسِّر الأيدي[3] بالنعم.

والجواب: أن المراد باليمين والشمال: القدرةُ على التوفيق وعلى الخذلان، فالسعداء وفَّقهم الله، والأشقياء خذلهم الله، والكلُّ بقدرته، وثمرة الخذلان الكفر، وهو واقعٌ بقدرته، فقول آدم: «اخترتُ يمين ربي» أي: اخترتُ القومَ الذين هم أهلُ توفيقه وإسعاده، و «كلتا يديه يمين» تنبيهٌ على أنهما ليستا بجارحتين، ولا من ضرورة الجوارح: يمين وشمال، أو أرادَ آدمُ: اخترتُ ما اختاره ربي، وكِلا فِعلَيْه مختارٌ؛ لأن أحدهما فضلٌ، والآخر عدلٌ.

---

(١) في (أ) و (ج): في الجواز.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب التفسير، باب من سورة الإخلاص، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٣٢، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم.

(٣) في (أ): لأن تفسير الأيدي.

[ذكر الاستلقاء والأعضاء]

حديثٌ آخر: جاء: «إن الله تعالى لـمَّا فرغ من خلق السموات والأرض استلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى، وقال: لا ينبغي لأحدٍ أن يفعل مثل هذا»[1].

وجه الإشكال: ذكر الاستلقاء والأعضاء، ووضع بعضها على بعض.

والجواب: أن الاستلقاء على وجهين:

أحدهما: أن يراد أنه ترك خلقَ عالمٍ زائدٍ على السموات، وكان قادرًا على أن يخلُقَ أمثالَها دائمًا، والعرفُ فيمن ترك العملَ أن يقال: استلقى؛ لأنها هيئةُ الراحة والترك، غيرَ أن الراحة تستدعي عرفًا تقدّم اللغوب والتعب، وذلك مستحيلٌ في حقِّه تعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾[2] أي: لم نترك خلق الزيادة إعياءً ولغوبًا، وإنما تركناه اختيارًا، وعن قدرةٍ. ويقول أهل العرف لمن ترك التجارة والأسفار: حلَّ وَسَطُه. وفيه إشعارٌ بأن في الإمكان أن يخلق الله تعالى ما يشاءُ زيادةً على هذا العالم، لا يُعجِزُهُ شيءٌ، ولا يُعَدُّ بتركه عاجزًا ولا بخيلا، جلَّ جلالُه وتقدَّست أسماؤُه.

الوجه الآخر: أن يكون الاستلقاءُ (٥/ ب) الإلقاء، أي: إلقاء بعض المخلوقات على بعضٍ، فطبق السموات ورفع بعضها على بعضٍ، ورفعها بجملتها على الأرض.

والوجه الأول أقعدُ بالوضع ومقتضى العربية.

وأما تأويل الرِّجل: فالقطعةُ من الخلق، (١١/ج) ومنه: رِجلُ الجراد، أي: القطعة العظيمة منه، فمعنى الكلام: أنه رفع خَلْقَهُ بعضهم على بعضٍ درجاتٍ،

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٩/ ١٣ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات برقم (٧٦١) من حديث قتادة بن النعمان رضي الله عنه. وقال البيهقي: هذا حديثٌ منكر.

(٢) سورة ق: ٣٨.

امتحانًا لصبر الوضيع ولشكر الرَّفيع، وهو من جنس: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾[1]. وفي هذا الحديث زيادةٌ عن كعب الأحبار منسوبة إلى كُتُب اليهود، لا تصح.

[ذكر الجهات والجوارح]

حديثٌ آخر: جاء: «إن الله تعالى يقول لداود عليه السلام يوم القيامة: مُرَّ بين يدي، أي: على الصراط، فيقول: أخاف أن تدحضني خطيئتي، فيقول: مُرْ خلفي، فيقول: أخاف أن تدحضني خطيئتي، فيقول: خـذ بِقَدَمي، فيأخـذ بقَدَمِهِ فيجوز، فتلك الزلفى في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ "[2].

وجه الإشكال: ذكر الجهات والجوارح.

وهذه القصة موقوفة على عُبَيدٍ بن عمير لم يرفعْها، وبتقدير أن تكون مرفوعة، فالجواب: أن المراد حاسب نفسك قبل أن أُحاسبك، فقال: أخاف أن ترجح خطيئتي فأَهلَك، والتقدُّمُ بين اليدين حينئذٍ كنايةٌ عن التقدُّم في القول والفعل بلا جهةٍ. ومنه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[3]، ولو أن أحدًا خَلْفَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم جالسًا، فسبقَهُ إلى قولٍ، لَصَدَقَ عليه أنه تقدَّمَ بين يديه وإن كان خلْفَه.

رجع الحديث: فقال: فأجبني إن بدأتُ بمحاسبتك، فقال: يا ربِّ، أخاف مثل ذلك. فقال: فتمسَّك برحمتي وعفوي، فإن رحمتي تقدَّمت وسبقت في حقِّك، فقال: نعم يا ربِّ بهذا آخذ، فجاز على الصراط حينئذٍ بالرحمة لا بالحساب. وإطلاقُ القَدَم على الأمر المتقدَّم لغويٌّ معروفٌ.

(١) سورة الفرقان: ٢٠.
(٢) سورة ص ٢٥، والحديث أورده المتقي الهندي في كنز العمال، كتاب التفسير، باب سورة ص، ٢/ ٢٠٦ برقم: (٤٥٧٢)، وذكر أن ابن مردويه أخرجه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٣) سورة الحجرات: ١.

[ذكر الجوارح والشَّعر]

حديثٌ آخر: جاء: «إن الله تعالى خَلَقَ الملائكة من شَعر ذراعيْه وصدره أو من نورهما»[1].

وجه الإشكال: ذكر الجوارح والشَّعر.

والجواب: أن هذا الحديث موقوفٌ على عبد الله بن عمرو، وقال ابن فورك: فيحتمل أنه نَقَلَ ذلك عن الوَسْقَيْن، فلَم يفهم السامعُ فعزاهُ إلى شريعتنا[2].

وعلى التقدير الآخر، فالجواب: أن لفظ «الذراعين» يحتمل أن يكون اسمًا لبعض مخلوقاته العظيمة، وأضافه إليه إضافة الملك والتشريف. أو في الكواكب ما يُسمَّى الذراع، وجاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[3] أن الروح مَلَكٌ واحدٌ يقومُ وحدَهُ صفًّا، والملائكة كلُّها صفًّا، وذلك الواحد يعادلها. ويقال عن ابن شهابٍ: أنه لـمَّا روى هذا الحديث قال: والأذرعُ كلُّها لله، أي: أذرع بني آدم، وذراعُ الكوكبِ وسائر (١٢/ج) ما يُسمَّى ذراعًا من المخلوقات التي لا يعلمها إلا الله تعالى، كلُّ ذلك لله أي: ملكُهُ، وأضافَهُ إليه إضافةَ الملكِ إلى المالك.

[خبر اليد]

حديثٌ آخر: جاء: «إن يد الله على الفِسطاط»[4]، وفي حديث: «يدُ الله على الجماعة»[5]،

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٧٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. ثم قال البيهقي: هذا موقوفٌ على عبد الله بن عمرو، وراويه رجلٌ غير مسمًّى، فهو منقطع ضعيف.

(٢) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص ٥٢.

(٣) سورة النبأ: ٣٨.

(٤) أورده ابن فورك في مشكل الحديث ص ١٤٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأورده ابن الجوزي في غريب الحديث ٢/ ١٩٣، وابن قتيبة في غريب الحديث ١/ ٣١٨.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بلفظ: «إنَّ اللهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِي أو قال: أُمَّةَ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم على ضَلالَة، وَيَدُ اللهِ مع الجَمَاعَة، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إلى النَّار» والحديث صحيح، انظر: صحيح الجامع رقم ١٨٤٨.

وفي حديثٍ: «ما التقت فئتان إلا ويدُ الله بينهما، فإذا أراد أن (١٨٦/أ) يَهزِمَ إحداهما أمالَ يده عليها»(١).

والجواب: أن المراد بكون يد الله على الجماعة، أي: بالنصرة والظفر، ولهذا كان أهلُ السنة والجماعة منصورين أبدًا بالسيف والعزِّ على المبتدعة، ولا تكاد ترى مبتدعًا أو حشويًّا أو قَدَرِيًّا أو جَبْرِيًّا أو شيعيًّا إلا وهو يكتمُ مذهبَه، وعلامة ذلك أنه إذا ادَّعى ضلالةً، فقيل له: أَشهِد عليك عدلَيْن أن هذا معتقدُك، نكص ورجع وفزع من قضاة المسلمين أن يضبطُوهُ بالأقلام، أو من ولاة المسلمين أن يأخذوه بالسيوف، حتى تقولَ العامةُ: دينٌ مكتومٌ، دينٌ مشئومٌ، فأدلُّ دليلٍ على أن الله تعالى مع أهل السنة والجماعة بالنصرة: استظهارُهُم على أهل البدع وإخمادُهُم لهم بفضل الله وكرمه.

[ذكر الظرفية والفوقية والتحتية]

حديثٌ آخر: «جيء عليه الصلاة والسلام بأمَةٍ سوداء، وسُئِل عن عتقِها في الكفارة، فقال لها عليه الصلاة والسلام: أين الله؟ فأشارت إلى السماء، فقال: أعتقِها فإنها مؤمنةٌ»(٢).

وجه الإشكال: الظرفيةُ في السؤال والجواب، ثم الحكمُ بالإيمان بذلك.

والجواب: أن المسئول عنه المنزلةُ المعنويةُ، وهي علوُّ الشأن، تقول: أين فلان من الأمير؟ فيقال: قريبٌ جدًّا، وإن كانا في إقليمين متباعدين؛ لأنك إنما سألتَ عن قدرِهِ عندَهُ ومكانتِهِ منه لا مكانَهُ. والجوابُ منَزَّلٌ على ذلك، تقول: فلانٌ في السحاب وفي السماء. أي: قدرُهُ عالٍ، ومنزلتُهُ في القلوب رفيعةٌ، والله أعلم.

(١) أورده ابن فورك عن الحسن البصري رضي الله عنه في مشكل الحديث ص ٢٠٦.
(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

حديثٌ آخر: جاء: «إن سائلا سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم: أين كان ربُّنا قبل خلق السموات؟ فقال: كان في عماءٍ، فوقه هواءٌ، وتحته هواءٌ» [1]. والعماءُ: السحابُ.

ووجه الإشكال: الظرفيةُ والفوقيةُ والتحتيةُ.

والجواب: أن «في» بمعنى «على»، و «على» بمعنى الاستيلاء، أي: كان مستوليًا على هذا السحاب الذي خَلَقَ منه المخلوقات كلها، والضميرُ في «فوقه» يعود إلى السحاب، وكذلك «تحته»، أي: كان مستوليًا على هذا السحاب الذي فوقه الهواء، وتحته الهواء، وورد بلفظ القصر في «عمى»، والمعنى: عدم ما سواه، كأنه قال: كان ولم يكن معه شيءٌ، بل كلُّ شيءٍ كان عدمًا عمى، لا موجودًا ولا مدركًا. والهواءُ: الفراغُ، والفراغُ أيضًا: العدمُ. كأنه قال: كان (١٣/ ج) ولا شيء معه ولا فوق ولا تحت.

[خبر النَّفَس]

حديثٌ آخر: جاء: «لا تسُبُّوا الرِّيحَ، فإنها من نفَسِ الرَّحمنِ» [2].

وجاء أيضًا: «أجدُ نفَسَ ربِّكم من قِبَل اليَمَن» [3].

ووجه الإشكال: أن النَّفَسَ يوهمُ ظاهرُهُ الهواءَ الخارجَ من الجارحة.

والجواب: أن المرادَ التنفيسُ، ومعناه: إزالةُ الكَرْبِ والغَمِّ؛ لأنه سببٌ في شفاء السَّقيم وراحة الـمُدْنِفِ [4] وغيره، والشفاءُ بالحقيقة إنما هو بقدرة الله تعالى. وقوله:

(١) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب التفسير، باب من سورة هود، عن أبي رَزِين العقيلي رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله أَيْنَ كان رَبُّنَا قبل أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قال: كان في عَمَاءٍ ما تَحْتَهُ هَوَاءٌ وما فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ على الْمَاءِ". وقال: وهذا حديثٌ حسن. وأخرجه ابن ماجه في سننه، باب فيما أنكرت الجهمية برقم: ١٨٢.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٣٢)، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٩٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٩٨ برقم: (٣٠٧٥)، من حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرّجاه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، رقم (١٠٥٩٥). وقال العراقي في المغني (١/ ٦٤): ورجاله ثقات.

(٤) المدنف: هو المريض. مأخوذ من الدَّنَفَ: المرض الملازم. انظر: مختار الصحاح، مادة (دنف).

«من قِبَل اليَمَن» أي: يُنَفِّسُ اللهُ عني غمي وكربي وهمي بإسلام مَن يسلم من أهل اليمن؛ لأنهم أسلموا بلا كربٍ ولا حربٍ.

[خبر الخلوة]

حديثٌ آخر: جاء: «ما منكم من أحدٍ إلا يخلو اللهُ به[1]، فيقول له: أي فُلْ[2]، أتذكرُ يومَ كذا؟...» الحديث[3].

ووجه الإشكال: الخلوةُ يشير ظاهرُها بالانفراد في المكان، وقوله: فيقول: أي: فُلْ يشعر بتجديد القول.

والجواب: أن المراد أن الله تعالى يَسمع كل أحدٍ خطابه إياه، بحيث لا يسمعه أحدٌ سواه، فيخلو ذلك السامعُ وينفردُ بالسَّماع، وأما التجدُّدُ فراجعٌ إلى الإعلامِ بالكلام، لا إلى نفس الكلام، تقول: حدَثَ اليومَ أمرٌ من السلطان بالعدل، وإن كانَ السلطانُ غائبًا وغيرَ متكلم الآن، ولكنه كما وقف على كتابه الآن وكما ظهر دليلُهُ، فالمتجدِّدُ فهمُ الكلام لا نفسُهُ.

[خبر القَدَم]

حديثٌ آخر: جاء: «إن الله تعالى يطوي المظالمَ كلَّها، فيضعها تحت قدمِهِ، إلا أجرَ الأجيرِ وعقْرَ البهيمةِ وفضَّ الخاتَم»[4]. أي: غصبُ الأجيرِ أجرَهُ ومُطْلُهُ به، وقتلُ البهائم بالعقر، فتكون ميتةً لا ينتفع بها البتة، وافتضاض عذرة البكر غصبًا.

---

(١) في (أ): فيه.

(٢) أي: يا فلان. قال سيبويه: ليست ترخيماً، وإنما هي صيغة ارتجلت في باب النداء. انظر: النهاية في غريب الأثر ٣/ ٩٢٣.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٨٢، برقم: (٨٩٠٠) عن عبد الله بن عُكَيْم، قال: سمعتُ ابن مسعود بدأ باليمين قبل الحديث وقال: وَاللهِ إِن مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلا سَيَخْلُو الله بِهِ يوم الْقِيَامَةِ كما يَخْلُو أحدكم بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. يقول: ما غَرَّكَ بِي ابن آدَمَ، ما غَرَّكَ بِي ابن آدَمَ، ما غَرَّكَ بِي ابن آدَمَ، مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ابن آدَمَ، مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ»، والحديث موقوف على ابن مسعود.

(٤) أخرجه ابن منده في الرد على الجهمية ١/ ٢٠، من حديث راشد بن سعد، ولفظه: "إنَّ اللهَ تعالى يطوي المظالم يوم الجمعة فيجعلها تحت قدمه، إلا ما كان من أجر الأجير، وعقر البهيمة، وفض الختم. يعني: الأبكار".

وجه الإشكال: ذكر الجوارح.

والجواب: أن المرادَ تعظيمُ قدر هذه المظالم الثلاث، حتى تكون سائرُ المظالم بالنسبة إليها محتقرةً متساهلا فيها مطويةَ الذِّكر، ومنه قوله عليه السلام: «إن مآثر الجاهلية تحت قدميَّ هاتين»[1]. ويقول: اشتدت وطأةُ فلانٍ على الناس وركبَ رقابهم. وإن كان إنما يمشي على الأرض، وإنما يريد: احتَقَرَ الناسَ.

[خبر الوطء]

حديثٌ آخر: جاء: «إن آخِرَ وَطأَةٍ وَطِئها الله بِوَجٍّ»[2]، مكانٌ معروفٌ بالطائف.

وجه الإشكال: أن ظاهر الوطي علاجٌ بالقدميْن.

والجواب: أن المرادَ التشديدُ على سكان (٦/ ب) هذه البقعة المعروفة بإقامة الحرب، وكانت آخرُ غزوةٍ غزاها عليه السلام وقاتل فيها العربُ غزوةَ الطائف، وأما غزوة تبوكٍ فلم يلق فيها حربًا، فالتشديدُ عليهم بالحرب كالتشديد على قريشٍ بالغلاء الذي أصابهم، والسّنين السّبع التي بُعِثَتْ عليهم كَسِنيِّ (١٤/ج) يوسفَ، تأديبًا لهم حتى آمنوا، وبإيمان تلك الجهات كَمُل الإيمانُ في أرض العرب، وإلى الآن لم يَسْكُنْها مشركٌ، ولا كَفَر فيها أحدٌ، وكانت تلك الشدةُ التي أُدبوا بها قديمًا (١٨٧/ أ) آخرَ الشدائد التي أصابتهم بسبب كفرهم.

---

(١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الديات، باب في دية الخطأ شبه العمد، وأخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب الديات، باب دية شبه العمد مغلظة، وفي لفظ لمسلم : "ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع" كتاب الحج ، باب حجة النبي.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (٢٧٣٥٥)، عن عمر بن عبد العزيز قال: زَعَمَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ أن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم خَرَجَ مُحْتَضِناً أَحَدَ ابني ابْنَتِهِ وهو يقول: "والله إنكم لَتُجَبِّنُونَ وَتُبَخِّلُونَ، وَإِنَّكُمْ لَمِنْ رَيْحَانِ الله عزَّ وجل، وإن آخِرَ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا الله بِوَجٍّ" وإسناده ضعيف.

[ذكر القرآن بأنه ينظرف[1] ويقبل الاحتراق]

حديثٌ آخر: «لو جُعِل القرآن في إهابٍ ثم أُلقي في النار ما احترق»[2].

وجه الإشكال: إشعارُ ظاهرِهِ بأن القرآن ينظرفُ ويقبلُ الاحتراقَ.

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن يريدَ لو جُعِل دليلُ القرآن والرسومُ المفهِمةُ له في إهابٍ ما احترَقَ الدليلُ لما احترَقَ المدلول، تنبيهًا على أن القرآن بالحقيقة كلامُ الله القائمُ بذاته، فلا يُتصوَّرُ احتراقُه.

[ثانيهما][3]: أو يكون المرادُ لو احترَقَ رسمُهُ من المصاحف ما ذهَبَ حفظُهُ من القلوب، ولا تحصيلُهُ في الصدور[4]، كما ورَدَ في وصف هذه الأمة: أن «أناجيلهم في صدورهم»[5].

[توقيت القرآن الكريم]

حديثٌ آخر: جاء: «إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فسمعت الملائكة ذلك، فقالت: طوبى لأُمةٍ ينزلُ عليهم هذا»[6].

---

(١) يوضع في ظرف.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٦٩١٤)، وأخرجه الدارمي في سننه، في كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني في الإنصاف ص١٣٢ قولا ثالثًا بقوله: أراد بذلك فضل حفظة القرآن، وأنهم لأجل ما حفظوا من كلام الله تعالى وصار حفظه في صدورهم، تصير عليهم النار بردًا وسلامًا فلا تحرقهم، كما كانت على الخليل عليه السلام بإذن الله تعالى.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٨٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم ٣٤٧٣.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ١٣٣ برقم: (٤٨٧٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

وجه الإشكال: توقيتُ القرآن، والمعتقَدُ أنه قديمٌ لا أول له.

والجواب: أن التوقيت إنما هو للقراءة، وهي هاهنا: عبارةٌ عن الإفهام والإسماع، أي: أَسْمَعَ الملائكةَ هاتين السورتين في هذا الوقت.

[ذكر الجهة والأعضاء]

حديثٌ آخر: «الرَّحِم شُجْنةٌ [1]من الرَّحمن، لـمَّا خلقها أخذت بمنكِبَيْهِ» [2].
وفي حديثٍ آخر: «قامت عن يمين العرش، فقال: ما هذا؟ فقالت: هذا مقامُ العائذِ بك من القطيعة. فقال: أما ترضيْنَ أنْ أَصِلَ مَنْ وصلكِ وأَقْطعَ مَنْ قطعك» [3].

وجه الإشكال: الإشعارُ ظاهرًا بالبعضية وبالمماسَّة وبالجهة والأعضاء.

والجواب: أن هذه عباراتٌ تستعارُ للاعتصام والتحسب ونحو ذلك، يقال: تعلَّقَ بذيلِهِ، وأخذه بيدِه، وأعطاه ناصيتَه، وملّكه قيادَه، وتغطَّى بجناحه، قال الشاعر:

تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَناحِهِ
فَعَيْنِي تَرى دَهْرِي وَلَيْسَ يَراني[4]

فإذا صحَّ استعمالُ هذا في غير الجوارح لمن هو ذو جوارح، فلأن يكون استعماله لغير الجوارح في حقِّ من يستحيل عليه الجوارح بطريق الأولى، والمراد ليس نفس الرحم، فإنها عضوٌ من جملة أعضاء بنات آدم، فلو كانت هي المتعلقة بذاتهالم يَخْلُ أنْ

(١) معنى شجنة: قال أبو عبيد: يعني قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، غريب الحديث للقاسم بن سلام ١/ ٢٠٩ مادة شجن.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب مَن وصل وصله الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: "إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِن الرَّحمن فقال الله: مِنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ".
(٣) أصل الحديث نجده عند البخاري في صحيحه، في كتاب تفسير القرآن، سورة محمد، باب [وتُقَطِّعوا أَرْحَامَكُمْ]، وعند مسلم في صحيحه، في كتاب التوحيد، باب قول الله: [يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ الله]، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) هذا البيت منسوبَ لأبي نواس الحسن بن هانئ. انظر: يتمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي ٣/ ٩٨.

يرادَ رحمٌ مخصوصةٌ أو كلُّ رحمٍ، والمعلومُ خلاف ذلك، دلَّ أن المراد اعتصام الجنس، ثم ذلك الجنس أيضًا لا بدَّ من تأويله، فإن جنس الرحم لا يَعقِلُ ولا يستعصِم، فرجَعَ الأمرُ إلى التنزيه[1] بقدر صلة الرحم عند الله، وتنزيلُها حينئذٍ (١٥/ ج) منزلةَ المستجيرِ به، المعتصِم بعصمته من القطيعة، حتى يكون القاطع لها مُخفِرًا لذمة الله مستهينًا بعظمة شأنه.

[خبر الهجو]

حديثٌ آخر: جاء أن بعض العرب هجا النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فبلغَهُ عليه السلام، فقال: «اللهم إن فلانًا هجاني[2] وهو يعلم أني لستُ بشاعرٍ، فاهجُهُ اللَّهمَّ، والعنْهُ عدد ما هجاني»[3].

وجه الإشكال: أن الهجو عبارةٌ عن الشَّتم المقدح الفاحش المنظوم، وكلامُ الله تعالى لا يوجد فيه ذلك.

والجواب: أن هذا أخرج مَخرَجَ المقابلة، فيُحتمَلُ أن يريد: فاقتُلْهُ عِوَضَ هجائي، فسَمَّى قتلَهُ هجوًا، من جنس قولهم: سبَقَ السيفُ العَذَلَ[4]، وقوله:

.... محا السَّيْفُ ما قالَ ابنُ دارَةَ[5] أَجمَعا

---

(١) في (أ) و (ج): التنويه.

(٢) هو عمرو بن العاص رضي الله عنه، وذلك قبل إسلامه. انظر: تاريخ دمشق ٤٦/ ١١٨.

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس ١/ ٥٠٦، برقم: (٢٠٧١) عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وإسناده حسن.

(٤) هذا مثل من أمثال العرب، قاله ضَبَّة بن أُدّ لما لامه الناس على قتله قاتل ابنه في الحرم. انظر: مجمع الأمثال ١/ ٣٢٨. ومعناه كما قال الأنباري: قد فرَّط من الفعل، وسبق ما لا سبيل إلى الرجوع عنه. انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ١٥٤.

(٥) ابن دارة: هو سالم بن دارة أحد بني عبد الله بن غطفان، ودارة أمه، وكان هجا بعض بني فزارة فقال:

أبلغ فزارة أني لن أصالحها ... حتى ينيك زميل أم دينار

فاغتاله زميل فقتله. وقولهم هذا يضرب به مثلًا للرجل يجازى على المكروه بأكثر منه. انظر: مجمع الأمثال ٢/ ٢٧٩.

أو المراد: أنزل القرآن بذمِّه، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ ﴾[1]. وجاء أيضًا: أن امرأةَ أبي لهبٍ قالت: هجاني ربُّ محمدٍ، لـمَّا نزل قولُهُ تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾[2]، فهُم كانوا يعدُّون ذلك هَجوًا؛ لأنه جاء مقابلا للهجوِ. ويحتملُ أن يريد: سَلَّط عليه من يهجوه، وأَيَّدْهُ في هجائه إياه، كما ورد أنَّه صلى الله عليه وسلم قال لحسَّان: «أُهْجُهم وروحُ القدس معك»[3].

[خبر المكان]

حديثٌ آخر: جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «دخلتُ على ربي في جنة عدنٍ، فرأيتُ شابًّا جَعْدًا في ثوبيْن أحمريْن»[4].

وجه الإشكال: فيه إشعار «دخلتُ على ربي» بالمكان، وإشعار قوله: «فرأيتُ شابًّا» بأن المرئِي هو اللهُ، تعالى عمَّا تقول المشبِّهة، فإن المنتسبين إلى الإسلام منهم يقولون بهذا الظاهر، ويخالفون اليهود في زعمهم أنه في صورة شيخٍ، تعالى الله عن ذلك كلِّه.

والجواب: أن الدخول كما يكون في الأمكنة، يكون في الشُّئون والأمور، تقول: فلانٌ يداخلُ فلانًا في الحديث وفي الأمر، فالمراد إذًا: دخلتُ دار ربي؛ لأن الجنةَ دارُ الله، كما أن الكعبةَ بيتُ الله.

---

(١) سورة القلم: ١٠-١٢.
(٢) سورة المسد: ١.
(٣) الحديث متفق عليه من حديث البراء رضي الله عنه، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب هجاء المشركين، بلفظ: "أُهْجُ المشركين، فإنَّ رُوحَ القُدُسِ مَعَكَ". وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، برقم: (٨٣٩)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف.

وقوله: «فرأيتُ شابًّا» يعني: من أولياء الله تعالى، ويحتمل أن يعود الكلام إلى الله تعالى، وتكون الرُّؤيا منامًا. قال الأستاذ أبو بكر بن فوركٍ: «ويحتمل أن تكون يقظةً. ويريد الصورة الحسنة المخلوقة، التي من رآها رأى الله عزَّ وجل عندها، أي: لم يشغله جمال الخَلق عن جمال الخالق» (١). وهذا التأويل يشبه تأويلات المتصوفة، وهو من جنس قولهم: ما رأيتُ شيئًا إلا رأيتُ اللهَ عندَه.

فإن قلتَ: ما وجهُ اختصاصِ الصورةِ الحسنة، وكلُّ صورةٍ مخلوقة للحق، وينبغي أن يرى الحقَّ عندها؟

والجواب: أن الصورة الحسنة مظنة الاشتغال بها، فإذالم تشغل على حُسنِها فلأن (١٦/ج) لا يشغل غيرها أولى وأجدرُ.

[خبر الساعد]

(١٨٨/أ) **حديثٌ آخر**: وَرَدَ: «أن أعرابيًّا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى الأعرابي ثيابٌ رثَّةٌ، فصعَّدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وصوَّب، ثم قال: أَلَكَ مالٌ؟ فقال: نعم، فقال: إن الله تعالى إذا أنعم على العبد يُحِبُّ أن يرى نعمته. ثم جرى له حديثٌ طويلٌ إلى أن حدَّثه عن البحيرة التي كانت العربُ تشقّ آذانها، فقال صلى الله عليه وسلم: ساعِدُ الله أَشدُّ من ساعِدِك، وموساهُ أحدُّ من مُوساك» (٢).

(١) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص ١٥٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٥٩٢٩)، عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا الأحوص يحدّث عن أبيه قال: "أَتَيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا قشيف الْهَيْئَةِ قال: هل لك مَالٌ؟ قال: قلت: نعم. قال: فما مَالُكَ؟ فقال: من كل الْمَالِ مِنَ الْخَيْلِ وَالإِبِلِ وَالرَّقِيقِ وَالْغَنَم. قال: فإذا آتَاكَ الله عزَّ وجل مَالاً فَلْيُرَ عَلَيْكَ. قال: هل تُنْتِجُ أبل قَوْمِكَ صِحَاحاً آذَانُهَا فَتَعْمَدُ إلى الْمُوسَى فَتَقْطَعُهَا أو تَقْطَعُهَا وَتَقُولُ: هذه بُحُرٌ وَتَشُقُّ جُلُودَهَا وَتَقُولُ: هذه صُرُمٌ فَتُحَرِّمُهَا عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ. قال: قلت: نعم. قال: كُلُّ ما أتاك الله عزَّ وجل لك حِلٌّ وَسَاعِدُ اللَّهَ أَشَدُّ وَمُوسَى الله أَحَدُّ وَرُبَّمَا قَالَهَا وَرُبَّمَا لم يَقُلْهَا وَرُبَّمَا قال: سَاعِدُ الله أَشَدُّ من سَاعِدِكَ وَمُوسَى الله أَحَدُّ من مسواك. قال: قلت: يا رَسُولَ الله! رَجُلٌ نَزَلْتُ بِهِ يقرني ولم يكرمني، ثُمَّ نَزَلَ بِي، أَقْرِيهِ أو أَجْزِيهِ بِمَا صَنَعَ؟ قال: بَلِ أقره"، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وجه الإشكال: ذكرُ الساعد والعلاج بالموسى، والمعلومُ أن الحقَّ جل جلاله يقطعُ بلا آلةٍ ولا علاجٍ.

والجواب: أن الساعدَ القوةُ، ولهذا يقولُ الأعمى المعلِّم الذي لا يكتب وإنما يكتسبُ بلسانِه لا بساعده، إذا جَمَعَ مالا من ذلك: كسبتُ هذا المال بساعدي، ولعله لا ساعِدَ له أيضًا. وحاصلُهُ: التعبيرُ عن المعنى بمحلِّهِ وسببِهِ. وكذا الموسى، عبَّر بها عن المعنى المقصود منها، وهو القطع، فمعناه: قوةُ الله أشدُّ من قوتك، وقطعُهُ أوحى من قطعِكَ، يعني: فلو رضي أن يغيِّرَ خلْقَها لخَلَقَها كذا عضبًا أو جدعًا أو بحيرة.

[التشبيه بالقمر]

أحاديث الرؤية: «ترون ربَّكم كما ترون القمرَ ليلةَ البدرِ» (١).

وجه الإشكال: التشبيهُ بالقمر، وهو جسمٌ، وإنما يُرَى في جهةٍ.

والجواب: أن المشبَّهَ الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ **يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ** ﴾ (٢)، شبَّه العلمَ بالعلمِ، وكما أن المعرفة لا تستدعي كون متعلّقها في جهةٍ، فكذلك الرؤيةُ، ولا خلاف أن الخَلَقَ يعرفون الحق، ولا تتوقَّفُ المعرفةُ على الجهة، ولا يخالفُ القدريُّ في ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ولفظ البخاري: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فَنَظَرَ إلى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي: الْبَدْرَ، فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا على صَلَاةٍ قبل طُلُوع الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾، قال إسماعيل: افْعَلُوا لَا تَفُوتَنَّكُمْ".

(٢) سورة البقرة: ١٤٦.

وأيضًا: فإن الحقَّ يرى الخَلق، والحقُّ لا في جهةٍ، والخلقُ في جهةٍ، دلَّ ذلك على أن معنى الرؤية لا يستدعي الجهةَ، ومَن حكَّمَ الوهمَ والعادةَ لَزِمَهُ من جحودِ الرؤية جحودُ رؤيةِ الحقِّ للخلق، وجحودُ معرفةِ الخَلقِ بالحقِّ.

[خبر النفخ]

حديثٌ آخر: جاء: «أن اللهَ تعالى لـمَّا خَلَقَ آدمَ ونَفَخَ فيه من روحه عطس، فأذِنَ اللهُ له فشكرَهُ، فقال سبحانه: رَحِمَكَ ربّك، فسبقَت له الرحمةُ من ربِّهِ»[1].

وجه الإشكال: لفظُ «النفخ»، وهو يُعطي العلاجَ، (٧/ ب) وإضافةُ الرُّوح ووصفُ الرحمةِ بالسَّبق، وظاهرُهُ السبقُ الزَّماني، والرحمةُ ترجعُ إلى الإرادة، والإرادةُ قديمةٌ.

والجواب: أن النفخَ من الحقِّ كسائر أفعالِهِ بلا علاجٍ، ألا ترى أنه خَلَقَ الأشياءَ من العَدَم، والعلاجُ لا يتعلَّقُ إلا بموجودٍ سَبَقَ وجودُهُ على المعالجة، فإن اشترطت الجسميةُ في مفهوم أفعال العلاج طردًا للعادة وتوهُّمًا أن أفعالَ الحقِّ كأفعال الخَلق لَزِمَهُم القولُ بقِدَمِ العالَم. (١٧/ ج) وقال علماؤنا رضي الله عنهم: لا تستطيعُ الجسميةُ أبدًا إثباتَ حَدَث العالَم؛ لأن الأجسامَ متماثلةٌ، فلا يتصوَّرُ أن يكون منها قديمٌ ومحدَثٌ.

وأما إضافةُ الروحِ فإضافةُ المِلك إلى المالك، كقولك: بيتُ الله، وأما سبقُ الرحمة فالإشارةُ به إلى سبق وجود أثر الرحمة على أثر الغضب، والآثارُ محدَثةٌ زمانيةٌ يسبِقُ بعضُها بعضًا سبقًا زمانيًّا.

(١) أخرجه قريبًا من لفظه الترمذي في سننه، في كتاب التفسير، باب من سورة المعوذتين، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ثم قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

[لفظة: وضع إبهامه على أذنه]

حديثٌ آخر: جاء: «أنه صلى الله عليه وسلم لمَّا قرأَ قولَهُ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ إلى قوله: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[1]، وَضَعَ إبهامَه على أُذُنِه ومسبَّحته على عينه»[2].

وجه الإشكال: أن الإشارةَ يُشعِرُ ظاهرُها بإثبات الجوارح.

والجواب: أنه صلى الله عليه وسلم حقق أن لله وَصفَيْن وجوديّين، وهما السمعُ والبصرُ. ولعل ذلك تنبيه على ما أحدثه القدرية من نفي الصفات، ويعبّر عن المعنى بالحاسة تحقيقًا للمعنى لا إثباتًا للحاسة، كما أنه قد تنفي الحاسة والمرادُ نفي المعنى الذي به يقع المدح، ولهذا قال تعالى في وصف المنافقين:]صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ[[3]، وإنما أراد نفي المعاني لا نفي الأعضاء، فإذا جرى هذا وجاز في حقِّ من له أعضاءٌ، فلأن يجوزَ في حقِّ من لا يجوزُ عليه الأعضاءُ أجدرُ.

[ذكر الجارحة والجهة]

حديثٌ آخر: «إذا قام العبدُ يُصلِّي، فإنه يَقِفُ بين عيْنَي الرَّحمن، فإذا التَفَتَ قال الله تعالى له: إلى مَن تلتفتُ، إلى مَن هو خيرٌ مني؟ أنا خيرٌ من ذلك الذي التفتَّ إليه»[4].

---

(١) سورة النساء: ٥٨.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في الرؤية، وصححه الألباني، عن سُلَيْمُ بن جُبَيْر مولى أبي هريرة قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال ابن يونس يقرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾: رأيت رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَضَعُ إِبْهَامَهُ على أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا على عَيْنِهِ. قال أبو هريرة رضي الله عنه: رأيتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ.

(٣) سورة البقرة: ١٧١.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١/ ٣٩٥ برقم: (٤٥٣٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «إِذَا صَلَّيْتَ فإِنَّ رَبَّك أَمَامَك وَأَنْتَ مُنَاجِيه، فَلاَ تَلْتَفِتْ». قال عَطَاءٌ: وَبَلَغَنِي أَنَّ الرَّبَّ يقول: إِلَى مَن تلتفت يا ابن آدَمَ أنا خَيْرٌ لَك مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ».

وجه الإشكال: إثباتُ الجارحةِ والجهةِ.

والجواب: أن ثواب الله مقابلٌ للعبد، وهو بالصلاة مستحقة بالوعد ومستأهله، فإذا أعرضَ عنه استحقَّ التأديبَ والتوبيخَ.

[ذكر الملابس التي تستدعي الجسمية]

حديثٌ آخر: «الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري، فمَن نازعني فيهما قصمتُهُ»[١].

وجه الإشكال: أن هذه الملابس تستدعي الجسميةَ.

والجواب: أن الرِّداءَ والدِّثارَ والشِّعارَ تُستعارُ للمعاني، فيقالُ: شعارُ فلانٍ الكرمُ، ولباسُهُ التقوى، ودِثارُهُ الورعُ. ويقالُ: كان شعارُهُم يوم أُحُدٍ كذا وكذا. أي: كلامًا يتكلَّمون به، والرِّداءُ يستعار للدَّيْن؛ لأنه يلتحقُ بصاحبِهِ ويشملُهُ همُّهُ وكَربُهُ، وفي حديث عليٍّ كرَّم اللهُ وجهَهُ: «مَن أرادَ البقاءَ – ولا بقاءَ – فلْيُباكِرِ الغداءَ، وليُخفِّفِ الرِّداءَ»[٢]. أي: ليُقِلَّ من الدَّيْن، فإنه هَمٌّ وهرمٌ. وإذا استقامَ استعمالُها في المعاني في حقِّ مَنْ تجوزُ عليه الجسمية، فاستعمالُها في المعاني في حقِّ مَن تستحيلُ عليه الجسميةُ أجدرُ.

[الإشعار بالجسمية والثقل والاستقرار]

حديثٌ آخر: جاء: «إن اللهَ عزَّ وجل ملأ العرشَ، حتى إن له أطيطًا كأطيطِ الرحل الجديد»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، وصححه الألباني ، وابن ماجة في سننه باب البراءة من الكبر، وأحمد في مسند أبي هريرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: قال الله عزَّ وجل: "الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ".

(٢) وتمامه كما في كنز العمال ١٠/ ٨٧: "قيل: وما خفة الرداء في البقاء؟ قال: خفة الدين". ثم قال المتقي الهندي: روى بعضه ابن السني وأبو نعيم معًا في الطب.

(٣) أخرجه العكبري في الإبانة ٣/ ١٧٧، عن الشعبي رضي الله عنه بلفظ: "إنَّ اللهَ تعالى قد ملأ العرش حتى إنَّ له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد". وقال: إسناده فيه ضعف.

وجه الإشكال: الإشعارُ بالجسميةِ والاستقرارِ والثِّقَلِ، وذلك كلُّهُ من (١٨٩/ أ) عوارضِ (١٨/ ج) الأجسام.

والجواب: أن الثِّقَلَ ها هنا والملأ على حذف المضاف، كأنه قيل: إن الآلاء وآثار العظمة وآيات الجلال ملأت العرش، وجعل اللهُ الصوتَ الذي سمَّاه (الأطيط) مخلوقًا في العرش إيذانًا بثقل ما حَمَل من الآلاء والآيات، وهو من جنس قوله صلى الله عليه وسلم: «فأُتيتُ بطستٍ مملوءٍ إيمانًا وحكمةً»[١].

والجسميةُ[٢] يوافقون على أن الإيمانَ والحكمةَ ليستا جسمين، وتقول أيضًا: فلانٌ يملأُ العينَ، إذا وصفتَهُ بالبهاءِ والعظمةِ، وفلانٌ يملأُ سرجَهُ.

وقال الشاعر[٣]:

.... ملءِ الزَّمانِ وملءِ السَّهل والجبلِ[٤]

فإذا استُعيرَ هذا لغير الجسميات فيما لا يستحيلُ عليه الجسمية، بل هي ذاتُهُ ووصفُهُ، فلأن يُستعارُ في وصف مَن يتقدَّسُ عن الجسمية بطريقِ الأولى.

[الإشعار بالصلاة بالحركات والسكنات]

حديثٌ آخر: جاء في بعض طُرُق الإسراء: «أن جبريل قال: يا محمدُ رُويدك، فإن ربَّكَ يصلِّي، قال: فقلتُ: أو يصلِّي ربِّي؟ قال: نعم. قلتُ: وأيُّ شيءٍ يقولُ؟ قال: يقول: سبُّوحٌ قدُّوسٌ ربُّ الملائكةِ والرُّوحِ، سبقت رحمتي غضبي»[٥].

(١) الحديث متفق عليه من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: والمجسمة.

(٣) هذه الكلمة ليست في (أ) ولا (ج).

(٤) القائل هو: المتنبي مادحًا سيف الدولة.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ١٦٠) من حديث عطاء. وقال ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٧٦: «وهذا إسناد كل رجاله ثقات، إلا أنه موقوف على عطاء، فلعله سمعه ممن لا يوثق به، ولا يثبت مثل هذا بهذا». ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ٤٢.

وجه الإشكال: إشعارُ «رُويدَك» بالتوقيفِ عن الدخول، وإشعارُ الصلاةِ بالحركات والسَّكنات.

والجواب: أن التوقيفَ إنما كان عن الرؤية، وكان صلى الله عليه وسلم منتظرًا أن يفوز برؤية جلال الله تعالى، وكان جبريل قد عَلِمَ بذلك علامة وآية يخلقها اللهُ عزَّ وجل، ويظهرُها قبيل الإذن في الرؤية، تدلُّ تلك العلامة على الرحمةِ والفضلِ والتقريبِ والإكرامِ. والصلاةُ من الله الرحمة. فقال: «رويدك» حتى تظهر العلامة والآية الدالة على أن الرؤية عقيبها.

وقد استقر بالأدلة أنه لا يحتجب، ولكنه يحجب، فإذا أراد أن يريَ عبدَهُ جلالَهُ رَفَعَ الحجاب عن عبده، أي: المعنى المانع المضادّ للرؤية، والمانعُ أمرٌ يخلقُهُ اللهُ بالحدقة يضادُّ الرؤيةَ، حتى إن الأجسامَ عندنا لا تحجب الأجسامَ، والجدار لا يحجبُ الرائي حقيقة، ولكن الله أجرى العادة أنه يخلقُ الحجبَ والمنعَ عند حيلولة الجدار بين الرائي والمرئي، وليس الحجابُ نفس الجدار؛ لأن المعاني إنما تتمانع وتتضاد للمعاني، وليس الأجسام أضدادًا للمعاني ولا ممانعةً لها، فإذا أراد اللهُ خرقَ العادة خَلَقَ الرؤيةَ وأزال ضدَّها، مع وجود ما يُظَنُّ حجابًا، فرأى الرائي من وراء الجدار ورأى من خلفه، كما يرى من أمامه، وقد جاء في حديثه صلى الله عليه وسلم: «إني أراكم من ورائي، فأقيموا صفوفكم»[1].

وعلى هذا تُحمَلُ رؤيةُ عُمر رضي الله عنه لسارية والجبل بمصرَ وعُمرُ بالمدينة، حيث قال: يا سارية الجبل، أشار عليه - وكان حينئذٍ في حصار مصر - (١٩/ج) فأمره بالتحيُّزِ إلى الجبل، فأوصلَ اللهُ تعالى صوتَ عمرَ من المدينة إلى سارية بمصر.

وجاء في هذا الحديث زياداتٌ لا تَصِحُّ، كما يُقال عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه بعث إلى ابن عباسٍ رضي الله عنهما يسألُهُ: هل رأى محمدٌ ربَّهُ؟ فقال: «نعم، رآه

(١) الحديث متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأذان ، باب إقبال الإمام على الناس، ومسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها.

على كرسيٍّ من ذهبٍ في صورة شابٍّ رجلٍ»[1]. وفي طريقٍ آخر: «رآه حتى تبيَّن له التاجُ الـمُخَوَّصُ باللؤلؤ»[2]، وهذا كلُّه بسندٍ عن عكرمةَ بطرقٍ لا تصحُّ، ثم عكرمةُ في نفسِهِ ضعيف الثقة. وقد قال ابنُ عمر لنافعٍ: لا تكذب عليَّ كما كذَبَ عكرمةُ على ابن عباسٍ، وكان مالكٌ لا يُسمِّيه في الموطأ.

ولو صحَّ هذا لكان رؤيا منامٍ، ويجوزُ أن يُرَى في المنامِ مثل هذا على سبيل ضربِ المثل، لا على معنى أن الحقَّ له صورةٌ جسمانيةٌ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ثم ليس في قوله: «حتى رأى التاجُ الـمُخَوَّصُ» دليلٌ صريحٌ على الجسمية، فيجوزُ أن يكون التاجُ من مخلوقاتِهِ جل جلاله، ولا يلزمُ من تسميته تاجًا أن يكون ملبوسًا، وفي المخلوقات الإكليلُ، وهو جماعةُ نجومٍ معروفةٌ على هيئة التاج، ويكون اللؤلؤُ خلقًا يشبه اللؤلؤ، وفي بغداد مكان يُسمُّونه التاج، وربما قالوا: تاج الخليفة، مع العلم بأنه ليس ملبوسًا ولا ملابسًا. فهذه استعاراتٌ واتساعاتٌ في العبارات على منهاج كلام العرب، والله أعلم.

[الإشعار بالقرب]

حديثٌ آخر: جاء: «إن المرأةَ عورةٌ، فإذا خرجت (٨/ ب) استشرفها الشيطانُ، فأقرب ما تكون من ربها إذا كانت في قعرِ بيتِها»[3].

والجواب: أن القربَ ها هنا معنويٌّ لا مكانيٌّ، أي: تكون متقربةً إلى الله ومطيعةً لأوامره إذا استترت واكتنت، وتكون عاصيةً وبعيدةً عن الحقِّ إذا برزت وتبرَّجت.

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٣٦٢. وقال ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه ص ١٥٣ بعد إيراده: وهذا الحديث تفرَّد به ابن إسحاق، وكذَّبه جماعة من العلماء.

(٢) أورد هذه الرواية ابن فورك في مشكل الحديث وبيانه ص ٣٦٣.

(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٥٩٨)، ولفظه: "الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، وَإِنَّهَا لاَ تَكُونُ إِلَى وَجْهِ الله أَقْرَبَ مِنْهَا فِي قَعْرِ بَيْتِهَا". وأخرجه الترمذي في سننه، في كتاب الرضاع، باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات، بلفظ: "الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فإذا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ". وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ.

فهذه جملةٌ إذا وضحت لقارئها وفَهِمَها حقَّ فَهمِها، وكان من أهل البصر بعلم البيان، ومن أولي الحذق في علم اللسان، استظهرَ بها على تأويل كلِّ ما يقع له من أمثالها، وإلا فحسبُهُ أن يسكنَ ويسكتَ ويفهمَ أن غيرَ هذه الظواهرَ بمثابة هذه، لا يُعجزُ عن تخريجِها، ولا يوقف عن تأويلِها وتحصيلِها، فلا يردَّها إذا رواها العدولُ، ولا يحملها على ظاهرها المنافي للعقول، بل يقفُ حتى يَسألَ، فإنما شفاءُ العيِّ السؤالُ.

وقد كان الصدرُ الأولُ والصحبُ الكرامُ لا يحتاجون أن يسألوا عن ذلك (١٩٠/أ) إذا وَرَدَ؛ لأنهم أهلُ اللسان، وفرسانُ البيان، وبِلُغتِهم نَزَلَ القرآنُ، وعلى حسب ما فهموه من تخاطبهم وَرَدَ الفرقانُ، وما فرَّط اللهُ في الكتاب من شيءٍ، ولا كَتَمَ الرسولُ من الرسالة (٢٠/ج) شيئًا، غيرَ أن العربَ حجة على العجم، فإذا فَهِمت العربُ قلَّدتها العجم. وكذلك الخاصةُ على العامة، فإذا فهمت الخاصة تبعتها العامة، وبين الناطق بطبعه والعامي الناطق بجهله واسطة، وهم علماء البيان الذين لن ينطقوا بالطباع، ولكنهم فهموا الأوضاعَ، وساوقوا الناطقين بطباعهم مساوقة الانصياع، وكايلوهم في علم لسانهم مكايلةَ الصَّاعِ بالصَّاعِ، لكن أولئك نطقوا بالفطرة، وهؤلاء فهموا بالفطنة.

والأصلُ أن نسأل اللهَ عزَّ وجل العصمةَ من الفتنة، والسلامةَ من المحنة، والفوزَ بالنعمة والمنَّة، حتى يكون اللسانُ غير غدورٍ ولا عثورٍ ولا خارج عن المأثور.

نسأل اللهَ الإمدادَ بالتوفيق، والإرشادَ إلى التحقيق، والسلامةَ من حميَّة الجاهلية، وفتنة العصبية، والفوزَ بالعيشة الرضية، والتحيُّزَ إلى الفئة الوفية، والكينونةَ في بحبوحة الجماعة، التي يدُ الله عليها، وعينُ العناية من الله ناظرةٌ إليها، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العَالمين، وصلواته على محمد سيدنا خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ، وسلامه تسليمًا كثيرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١).

(١) في نهاية (أ) كتب: بتاريخ يوم الجمعة لعشر ليال بقين من شهر شوال من شهور سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

الخاتمة

أهم النتائج التي خرجتُ بها من هذا البحث:

١- يوضح هذا البحث منهج الأشاعرة المتأخرين في الأخبار الإضافية، وما آلت إليه في عصر ابن المنير الإسكندري في جواز تأويل الألفاظ الموهمة لمعان لائقة لا تشتبه على أصحاب البصيرة في العربية طبق ما تقتضيه أساليبها التي نزل بها القرآن الكريم.

٢- ينبّه هذا البحث على عدم الإسراف في تأويل الألفاظ الموهمة إلا بقدر ما توجبه قواعد اللغة واستعمالات الشرع، مع نفي المعاني المستلزمة للتشبيه والكيفيات الحسية.

٣- يبيّن هذا البحث أهمية تحقيق التراث الكلامي، لما في إظهار هذا التراث من بيان جوانب علمية غير معروفة، أو تأكيد على جوانب علمية أخرى، أو غير ذلك مما يعود بالنفع والفائدة.

٤- يظهر هذا البحث الدور الفعال لعلم الكلام في تصحيح العقيدة والدفاع عنها ضد الشُّبه والأباطيل.

٥- تميّز النص المحقق – على صغر حجمه – بحسن الترتيب والتنظيم في عرض مسائله وبيان مباحثه، كما تميّز باليسر والسهولة في ألفاظه وأساليبه.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقتُ فيما أردت من دراسة آراء ابن المنير الإسكندري وتحقيق كتابه وإخراجه في أبهى صورة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لعبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، دار الراية، ١٤١٨هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: عثمان عبد الله آدم.
- أساس التقديس لفخر الدين الرازي، دار الجيل، بيروت، تحقيق: أحمد حجازي السقا.
- الأسماء والصفات لأبي بكر البيهقي، مكتبة السوادي ، جدة، الطبعة الأولى، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي.
- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- الأنساب لعبد الكريم بن محمد السمعاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية، بيروت، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر الدمشقي، دار الفكر، بيروت، تحقيق: عمر العمري.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، دار اليسر، المدينة المنورة، الطبعة الثامنة، ١٤٣٠هـ، تحقيق: محمد عوامة.
- الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة الثالثة، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا.

- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، دار الأرقم، بيروت، تحقيق: عمر فاروق الطباع.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.
- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لعبد الرحمن بن الجوزي القرشي، دار الإمام النووي، عمّان، ١٤١٣هـ، الطبعة الثالثة، تحقيق: حسن السقاف.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي، مكتبة دار التراث بالقاهرة، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور.
- الرد على الجهمية لابن منده محمد بن إسحاق الأصفهاني، المكتبة الأثرية، باكستان، تحقيق: علي محمد الفقيهي.
- الزاهر في معاني كلمات الناس لمحمد بن القاسم الأنباري، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، تحقيق: محمد سعيد القحطاني.
- سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

- سنن الدارمي لعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي.
- السنة لعمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربية، بيروت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦هـ، تحقيق: محمود الأرناؤوط.
- الشريعة لمحمد بن الحسين الآجري، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي.
- صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.
- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الداوودي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.
- العبر في خبر من عبر للحافظ الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، تحقيق: محمد السعيد ابن بسيوني.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية لعلي بن عمر الدارقطني، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: محفوظ الرحمن السلفي.

- الفتح المبين في طبقات الأصوليين لعبد الله مصطفى المراغي، مكتبة محمد أمين دمج، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، الطبعة الأولى، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول.
- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م، تحقيق: إحسان عباس.
- الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد الله القاضي.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمود عمر الدمياطي.
- مـجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني ، دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان لعبد الله بن أسعد اليافعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ.
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- مسند أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

- مسند أحمد بن عمر البزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، تحقيق: عادل بن سعد.
- مسند الربيع بن حبيب الأزدي، تحقيق: محمد إدريس وعاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، ١٤١٥هـ.
- المشتبه في أسماء الرجال للحافظ الذهبي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٢م.
- مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، دار الوعي، حلب، ١٩٨٢م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي.
- مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه لجلال الدين السيوطي، بيت الأفكار الدولية، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، تحقيق: رائد بن أبي علفة.
- المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني.
- المعجم الكبير لسليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
- المغني عن حمل الأسفار لأبي الفضل العراقي، مكتبة طبرية، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: أشرف عبد المقصود.
- الموضوعات لعبد الرحمن بن الجوزي القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: توفيق حمدان.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي.

- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، جمعية المستشرقين الألمانية، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، تحقيق: هلموت ريتر.
- يتمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية.